الحركة التاريخية في مصر وسوريا

خلال القرن السابع الهجرى

د/ إبراهيم فرغلى

العربى للنشر والتوزيع
٦٠ شارع قصر العينى (١١٤٥١) القاهرة
تليفون : ٧٩٢١٩٤٠ - ٧٩٥٤٥٢٩
فاكس : ٧٩٤٧٥٦٦ / ٢٠٢
٤٢ ميدان البصره
شارع دجله من شهاب - المهندسين
تليفون وفاكس : ٧٤٩٢١٤٥
E-Mail alarabi5@intouch. com

العربى للنشر والتوزيع
٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة
ت ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس ٣٥٤٧٥٦٦

الطبعة الأولى

٢٠٠٠

الحركة التاريخية فى مصر وسوريا
(خلال القرن ٧هـ / ١٣م)
المؤلف : إبراهيم فرغلى
الغلاف للفنان : مصطفى رمزى
عدد الصفحات : ١٨٢ صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى الشعب الـسورى الـشقيق
وقيادته الحكيمة تقديراً لجهودهم
ونضالهم من أجل كرامة
ووحدة الوطن العربى

إبراهيم



" المقدمة "

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد أفضل المرسلين وبعد .

فمن المعروف أن البحث فى مؤلفات المؤرخين ، ودراسة المنهج التاريخى لهم وتطور الحركة التاريخية من حيث تنظيم المادة العلمية وأسلوب عرضها ، يعد من مقومات البحث فى التاريخ والخوض فى مسائله وموضوعاته .

وقد بدأ التاريخ كعلم خاص ونشاط ثقافى يشغل أذهان المفكرين فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وإن لم يبحثه مؤرخو هذه الفترة فى ذاته ، وفى دراسات خاصة به

– وقد استمر الأمر على ذلك أيضا فى القرن السادس وما بعده فى مؤلفاتهم وذلك مثل كتاب (طبقات العلوم للأبيوردى أبى المظفر محمد بن أحمد الأموى) المتوفى سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣م وغيره من المؤرخين .

– وفى النصف الثانى من القرن التاسع والقرن العاشر ، ظهرت أول الأبحاث الإسلامية الخاصة بعلم التاريخ نفسه ، وحملت فى الغالب طابع " الدفاع " عن هذا اللون من النشاط الثقافى ، أكثر مما حملت طابع التعمق والتحليل لكنهه وماهيته ومناهجه الفكرية .

– فكانت البدايات على يد محيى الدين محمد بن سليمان الكافيجى المتوفى سنة ٨٧٩هـ ١٤٧٤م بعنوان " المختصر فى علم التاريخ " وأعقبه بعد ذلك شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م بكتابه "

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ " ثم جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١هـ / ١٥١٦م فى كتابه " الشماريخ فى علم التاريخ "

- وأهم هذه المؤلفات السابقة التى تناولت موضوع علم التاريخ كتاب السخاوى " الإعلان " إذ أنه تناول علم التاريخ الإسلامى كعلم بالبحث والدرس ، ولو أن حدود المؤلف كفقيه محدث ، قد وقفت به دون العمق وحولته مجرد جامع للمعلومات المتفرقة ، كما كانت رسالة الكافيجى هى الدافع للسخاوى كى يكتب كتابه ، ولهذا فقد عرض للمسائل ذاتها التى عرض لها سابقه .

- أما الأبحاث والمؤلفات الحديثة المعاصرة فى هذا الميدان ، فإن البعض من المؤرخين كان يتناول هذا العلم "التاريخ" ، فى كتب مستقلة ، وكان البعض الاخر يتحدث عنه كموجز أو فى مقدمات بعض مؤلفاتهم .

- ومن أمثلة المؤلفات المعاصرة فى علم التاريخ ، كتاب " دراسات فى المصادر المملوكية المبكرة " لأحمد أحمد عبد الرازق و "علم التاريخ عند العرب " لمحمد عبد الغنى حسن " وبحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب " لعبد العزيز الدورى و " التاريخ والمؤرخون العرب " للسيد عبد العزيز سالم .

- و " أساليب كتابة التاريخ عند العرب " وهو مقال بمجلة كلية اللغة العربية لمحمد شفيق غربال ، كما كتب زكى محمد حسن " دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى " وكذلك كتب حسين نصار كتاب " نشأة التدوين التاريخى عند العرب "

- وتعد هذه المؤلفات محاولة لتصوير مسيرة الحركة التاريخية للتاريخ

العربى والإسلامى ، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسات مستقلة تقف متأنية أمام فترات التاريخ الإسلامى المختلفة ، لتبرز لنا حركة التأريخ الإسلامى فيها ، وتجلى غوامضها ، ومن هذه الفترات (القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) وهو الفترة الزمنية المخصصة للدراسة فى هذا البحث ، فهذا القرن شهد أهم الصراعات السياسيه والحربيه وأخطرها فى تاريخ المسلمين ، وتمثل ذلك فى الحروب الصليبية وحروب المغول ، الذين ازداد خطرهم فى ذلك الوقت ، واستولوا على العديد من المدن الإسلاميه .

- فجاءت هذه الدراسة لتوضيح مؤلفات المؤرخين الذين انعكست تلك الأحداث السياسيه عليهم ، فأظهروها فى كتب ومصنفات كنوع من الدفاع عن المسلمين فى ذلك الوقت، ومواجهة العدو الغاشم .

- وموضوع البحث يتعلق بالدراسة المنهجية فى كتابة التاريخ فى القرن السابع الهجرى فى مصر والشام ، وبيان تطور حركة التأليف التأريخى فى مصر والشام خلال هذه الفترة أيضا ، كما تحدثت عن كبار مورخى مصر والشام فى تلك الفترة .

- وفى هذا البحث استعنت ببعض المصادر والمراجع ، كان من أهمها كتاب : تطور علم التاريخ الإسلامى حتى نهاية العصور الوسطى " للدكتور أحمد رمضان أحمد ، و " مصطلح التأريخ " لأسد رستم ، و " التاريخ والمورخون العرب " للدكتور السيد عبد العزيز سالم ، و " مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه " للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف ، و" بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب " للدكتور عبد العزيز الدورى ، "وعلم التاريخ عند المسلمين " لفرانز روزنتال ، و"

تاريخ الأدب العربى " لكارل بركلمـان ، " التـاريخ العـربى والمؤرخـون " للدكتـور شاكر مصطفى .

– وفى النهاية أتمنى أن أكـون قد قـدمت شـيئـا ذا بال أتمم به نـقـصـا فى المكتـبة التـاريخـيـة العربيـة ،وأدعـو القـارئ الكريم أن يلتـمس العـذر فـى الأخطاء المطبعية التى ربما أكون قد غفلت عن تصحيحها .

والله ولى التوفيق ,,

إبراهيم فرغلى

الهرم – أكتوبر ١٩٩٧م ,,,

" التمهيد "

الحياة السياسية والثقافية
فى مصر وسوريا خلال القرن
السابع الهجرى
الثالث عشر الميلادى

الحياة السياسية فى مصر وسوريا

خلال القرن ٧هـ / ١٣م

عند الحديث عن الحياة السياسية فى مصر وسوريا فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، نجد أن مصر وسوريا كانتا مترابطتين إلى حد كبير فى ذلك ، من هنا كان الحديث عن الأوضاع السياسية لهما متحداً وليس منفصلاً ... (١)

وعن ترابط البلدين من الناحية السياسية ، يمكن القول " إن بلاد الشام فى عصرى الأيوبيين والمماليك كانت جزءاً من الدولة المصرية ، فقد تحققت الوحدة الكبرى بينهما منذ أيام صلاح الدين الأيوبى ، وكان النظام الذى اتبعه سلاطين الأيوبيين والمماليك فى حكم الشام ، هو تقسيمها إلى ستة أقسام تسمى نيابات ، تخضع للحكومة المركزية بالقاهرة ؛ أما هذه البيانات فهى نيابة دمشق ، ونيابة حلب وطرابلس ، وحماة وصفد ، ونيابة الكرك (٢)

وهكذا كان هناك ارتباط سياسي وثيق بين البلدين فقد كانت الحياة

---

(١) الفترة السياسية التى نؤرخ لها هنا تبدأ من سنة ٦٠١هـ إلى سنة ٧٠٠هـ من العام الهجرى ، أى من بداية القرن الثالث عشر الميلادى وحتى نهايته سنة ١٢٠١م – ١٣٠٠م وهذه الفترة تدخلنا فى الحديث عن الدولة الأيوبية حتى منتصف هذا القرن ، ومن بداية النصف الثانى من القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى نتحدث عن فترة من تاريخ المماليك البحرية حتى نهاية هذا القرن ، وتبدأ الفترة التى نتحدث عنها من بداية حكم السلطان العادل سيف الدين الأيوبى الذى تسلطن من سنة ٥٩٦ سنة هـ إلى سنة ٦١٥ هـ أى من سنة ١٢٠٠م إلى سنة ١٢١٨م

(٢) د سعيد عاشور العصر المماليكى فى مصر والشام ص ١٩٧ القاهرة سنة ١٩٦٥ م هذا وقد كانت سوريا ولبنان وفلسطين في ذلك الوقت يطلق عليهم اسم بلاد الشام

السياسية فى بلاد الشام تتصل عن قرب بالحياة السائدة فى البلاد المصرية .

" وقد يكون صحيحاً أن نقول إن للبلدين تاريخاً واحداً خلال عصور تاريخية طويلة لأن القطرين كونا لفترات من الزمن ، وحدة سياسية ، واجهت كثيراً من المعارك المصيرية ، ويتضح ذلك تماماً فى الحروب الصليبية " ... (١)

الأيوبيون فى مصر والشام بعد صلاح الدين :

بعد وفاة صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م حدث خلاف بين أبنائه، ولم تعد الدولة الأيوبية دولة قوية كما كانت علي عهد صلاح الدين .

فحدثت تقسيمات فى المملكة بين أولاده ، حيث أخذ ابنه الأكبر وهو الأفضل نور الدين دمشق والساحل وبيت المقدس وتبنين وهونين وبانياس ، وكان العزيز بمصر فاستولى عليها ، وأخذ الظاهر غازى حلب ، أما العراق وديار بكر ، فقد كانت لأخيه العادل ، وأخذ بقية أبناء صلاح الدين وأقاربه الإقطاعات الصغيرة . . (٢)

---

(١) د علي حبيبة الحروب الصليبية ص ١٥٨ ، ١٥٩ القاهرة ١٩٨١م

(٢) ابن واصل مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج٢ ص٣٧٨ ، ٣٧٩ تحقيق جمال الدين الشيال بالقاهرة ١٩٥٣

- ولم يكن لأحد من أبناء صلاح الدين مكانة متميزة فى حياة أبيه أو بعد وفاته إلا الملوك الثلاثة الأفضل نور الدين علي وهو أكبرهم ، والعزيز عثمان ، والظاهر غازى ، أما بقية أبناء صلاح الدين وإخوته وأقاربه ، فقد كانت لهم إقطاعات ثانوية صغيرة ، مثل الظافر خضر ابن صلاح الدين الذى أخذ بصرى وحوران ، والأمجد بهرام شاه ابن أخى صلاح الدين وقد أخذ حمص ، والمنصور الأول محمد ابن تقى الدين عمر ، وقد أخذ حماه ، فى حين أخذ سيف الإسلام طغتكين وهو الأخ الرابع لصلاح الدين اليمن وجزيرة العرب " .

انظر د سوسن محمد نصر إبراهيم الإخوة الملوك الثلاثة أولاد العادل الأيوبى الكامل، المعظم ، الأشرف ص ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ (رسالة دكتوراه / كلية دار العلوم / رقم ١٢٠ بالقاهرة سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)

النزاع بين العزيز والأفضل على دمشق :

وبعد تلك التقسيمات السابقة بين أسرة صلاح الدين ، حدث خلاف كبير بينهم ، ذلك أن صلاح الدين كان قد عهد بالسلطنة إلى أكبر أولاده ، وهو الأفضل صاحب دمشق ، وربما فعل ذلك صلاح الدين لاعتقاده بأن ولاء أفراد أسرته سيظل للسلطان الأفضل ، وأنهم سيبقون جميعاً حوله خاضعين له ، إلا أن ذلك لم يتحقق ، بل على العكس من ذلك ، فإن سلطنة الأفضل كانت نقطة الخلاف في الأسرة الأيوبية .

وذلك لأن الأفضل لم يكن يشبه صلاح الدين فى مواهبه العسكرية والإدارية، فلم يكن يصلح لتلك المهمة الصعبة ، " وبخاصة لأنه اختار ضياء الدين ابن الأثير ليكون وزيراً له ، ولم يكن هذا الوزير كفأ لهذا المنصب ، فحسن للأفضل إبعاد أمراء أبيه وأكابر أصحابه ، وأن يستجد له أمراء وأصحاب غيرهم " ... (١)

كما أنه كان يقبل على اللعب ليله ونهاره فكرهه الناس واستدعوا أخاه العزيز من مصر ، فقصد الشام سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٤م ليحاصر الأفضل فى دمشق ، إلا أن الأفضل استنجد بعمه العادل وبعض أفراد الأسرة الأيوبية بالشام، فمنعوا العزيز من أخذ دمشق ... (٢)

ورجع العزيز لمصر ، بعد أن إتفق معهم على أن يأخذ بيت المقدس ، وبعض

---

(١) د . يسرى أحمد زيدان : الفقهاء والعامة فى مصر والشام فى القرنين السادس والسابع الهجريين ، دراسة تاريخية مقارنة ص ٩٨ .

(رسالة دكتوراة بكلية دار العلوم رقم ١٠٣٦ سنة ١٩٩٦م) .

(٢) من المعروف أن العزيز عثمان قد حكم مصر قرابة خمس سنوات ، (٥٨٩ – ٥٩٥هـ / ١١٩٣ – ١١٩٨م) وكان قبل ذلك يحكم مصر باسم أبيه صلاح الدين الأيوبى .

أعمال فلسطين ، وأن تظل للأفضل دمشق وطبرية ... (١)

العادل سيف الدين سلطاناً على مصر

سنة ٥٩٦ - ٦١٥هـ / ١٢٠٠ - ١٢١٨م

وهذه الأحداث جعلت السلطان العادل يكبر فى نفوس الأيوبيين ، وتزداد أهميته وزاد من ذلك سوء واضطراب حكم الأفضل فى دمشق ، مما جعل العادل ينتهز الفرصة فى عزل الأفضل بمعاونة مع العزيز فى مصر ، فسقطت دمشق فى أيديهما سنة ٥٩٢هـ / ١١٩٦م .

فأصبح العادل يحكم دمشق، وتسلطن العزيز بمصر وبيت المقدس ، أما الأفضل فقد استقر فى صرخد ... (٢)

وهكذا كان العادل أعظم سلاطين الأيوبيين فى مصر بعد صلاح الدين ، فقد اكتسب خبرة واسعة من اشتراكه مع أخيه صلاح الدين فى غزواته ومفاوضاته ، وإدارة أقاليم الدولة إذ وكل إليه معاونة ابنه الكامل فى حكم مصر ، عندما كان يحارب الصليبيين فى الشام ، كما عهد إليه بحكم حلب ثم العراق ... (٣)

---

(١) عن الملك الأفضل واستقراره فى دمشق انظر :
العماد الأصبهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، طبع على نمة مصطفى الكتبى بجوار الأزهر ، بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر .
وابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص ٢٣٠ : ٢٣١ ، تحقيق : د . سعيد عاشور ، ومراجعة : د . أحمد السيد دراج - المملكة العربية السعودية .

(٢) صرخد : بلدة صغيرة ذات بساتين وكروم ، وهى محدثة البناء ، فلما وصلت عساكر هولاكو ملك التتار إلى الشام هدموا شرفاتها وبعض جدرانها فجددها الظاهر بيبرس (القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٧ ط القاهرة ١٩١٣ / ١٩١٩م) .

(٣) على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى - من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى ص ١٤٤ القاهرة ١٩٤٧ .

وتوفى السلطان العزيز عثمان سلطان مصر سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م فكان الأمير فخر الدين جهاركس ... (١) يتولى أمور مصر ، فاستدعى السلطان العادل ليحكم مصر ، إلا أن الجند الأسدية ... (٢)

والجند الصلاحية ... (٣) فى مصر رفضوا ذلك لخوفهم من السلطان العادل فاتفقوا على أن يتولى الملك الأفضل شأن مصر سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٩م ، وربما كان من سبب توليته أنه كان قريباً من مصر ، أما العادل فكان بماردين فى بلاد الشرق ... (٤)

---

(١) فخر الدين جهاركس : كان أحد أمراء صلاح الدين ، شهد معه الغزوات كلها ، وقد انحرف عن الأفضل وتوجه إلى العزيز ففوض إليه أستانية داره . (المقريزى : السلوك ج١ ق١ص ١١٥ - ١١٨) .

(٢) الجند الأسدية : ينتمون إلى أسد الدين شيركوه الذى كان وزيراً لنور الدين محمود ، وقد توفى شيركوه سنة ٥٦٤هـ / ١١٦٩م وخلفه فى الوزارة ابن أخيه صلاح الدين ، فاستطاع هذا الرجل أن يكون جيشاً كبيراً من المماليك الذين سموا بالأسدية ، وقد بلغ عددهم عند وفاته نحو الخمسمائة مملوك . (أبو شامة : الروضتين ج١ ص ١٣٧) .

(٣) الجند الصلاحية : كونهم صلاح الدين وهم من الأحرار والأكراد والأتراك الذين اشتراهم لنفسه وسماهم الصلاحية نسبة إلى أسمه ، فكانوا الحرس الخاص له (المقريزى : الخطط ج١ ص٩٤ ط بولاق سنة ١٢٧هـ) ، وقد اشتركت كل من طوائف المماليك الأسدية والصلاحية مع الأكراد والعرب فى كل العمليات الحربية التى خاضها صلاح الدين ضد ملوك الشام وضد الصليبيين انظر : ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص٧٠ تحقيق جمال الدين الشيال .

Lane Poole : Ahistory Egyption in the middle age p . 243 London , 1925 .

(٤) مدينة ماردين : قائمة فى جهة الشرق من الرها (أرفة) على رأس جبل مسمى باسمها يصعد إليه بدرج منقور فى الصخر ، يزيد عدد سكانها على عشرة آلاف نفس ما بين مسلمين ونصارى (على بهجت : قاموس الأمكنة والبقاع ص ١٧٨ط القاهرة سنة ١٣٢٤هـ)

وفى هذا يقول أبو شامة عند الخلاف بين الجند الأسدية والصلاحية حول تولى السلطنة بين العزيز والأفضل " وما ها هنا إلا الملك العادل وهو الآن فى بلاد الشرق مشغول وهاهنا من هو أقرب منه وهو الملك الأفضل ، فقال الأسدية هذا هو الرأى الراجح ، ولم يسع الصلاحية مخالفته فاتفقوا على استدعاء الأفضل من صرخد ليتولى السلطنة ... (١)

فعلم العادل عن طريق أحد الأمراء بذلك ، فترك ماردين بديار بكر فى يد ابنه الكامل وحاصر دمشق وفتحها ، فرجع الأفضل إلى مصر فتبعه السلطان العادل والتقى به عند بلبيس وهزمه وأرسل إليه يقول " إن وافقتنى على ما أعطيك وقبلت سعدت ، فهؤلاء الذين عندك (يقصد الجند الأسدية والصلاحية) ما منهم إلا من كتب إلى وتقرب ... (٢)

فلما عرف صدق عمه وافق على الصلح فأعطاه العادل فى ديار بكر ميافارقين وأعمالها وجبل جوروحانى والمعاقل والحصون المحسوبة من ميافارقين فرضى بها مكرها ، وخرج متوجهاً إلى الشام ... (٣)

ودخل العادل القاهرة واستقر بدار السلطنة فأصبح حاكماً على مصر سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م ، كما أناب الكامل ليحكم مصر ، وبذلك أصبحت مصر وبيت المقدس ودمشق تحت سيطرته وجعل أبناءه يتولون أمور هذه البلاد على أن يظل هو الحاكم العام لكل ذلك .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ج٢ ص٢٢٥ ط دار الجيل - بيروت .

(٢) المصدر السابق : ج٢ ص ٢٣٧ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ج٣ ص ١٠٩ ت د . جمال الدين الشيال ، د . حسنين ربيع .

تصل إلى مصر والشام .. (١)

الحملة الصليبية الخامسة سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م

وصل الصليبيون إلى دمياط سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ليتملكوا مصر وينطلقوا بعد ذلك إلى استرداد بيت المقدس ، وكان قائدهم في ذلك الوقت رجل يدعى جان دي بريين ملك بيت المقدس .... (٢) فقاد الحملة الصليبية الخامسة على مصر .

وكانت دمياط من أحسن المدن تحصيناً ذات أبراج منيعة وسلاسل قوية تمنع السفن من اختراق النيل ، وكان فيها برج يسمى ببرج السلسلة يصفه ابن الأثير فيقول : وهو حصن بناه المسلمون وسط مجرى النهر لحماية دمياط ودفع أي عدوان يقع عليها ، ولولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكب العدو لا يقدر أحد على منعها من أقاصي ديار مصر وأدانيها ... (٣)

وكان السلطان الكامل ينوب عن أبيه العادل في حكم مصر فأعد جيشه جنوب دمياط لمنع الصليبيين من العبور إليها ، فلجأ الصليبيون إلى تحصين مواقعهم في مواجهة دمياط وأحاطوا معسكرهم بخندق ثم بنوا بمحاذاة هذا

---

(١) د. علي حبيبة : الحروب الصليبية ص١٠٣ : ١٠٤ .

وفي سنة ٦٠٣هـ / ١٢٠٦م كان الصليبيون في حصن الأكراد يهاجمون مدينة حمص إلا أن السلطان كان يكتفي فقط بإنذار ملك الصليبيين رغبة منه في تجنب الحروب مما يوحي بأن السلطان العادل كان يحاول الصلح مع الصليبيين إلى أن يملك زمام القوة حتى يواجههم، وحصن الأكراد ينتمي إلى الأكراد الطائفة المشهورة .

وهي قلعة من جند حمص موقعها الإقليم الرابع ، حصينة مقابل حمص من غربيها على الجبل المتصل بجبل لبنان نحو مرحلة من حمص وهي حصن جليل وقلعة شماء انظر :

(القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج٤ ص١٤٤ط القاهرة ١٩١٣ / ١٩١٩م)

(2) BARKER , THE CRUSADERS P,74 LONDON 1925 .

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج٩ ص٣١٥ ، ٣١٦ط٦ دار الكتاب العربي - بيروت - دار الريان للتراث ١٩٨٦م .

الخندق سورا واستخدموا للاستيلاء علي البلد الأبراج المتحركة التى تحمل على السفن ليتمكنوا بواسطتها من الاستيلاء على برج السلسلة .... (١)

وقام أهل دمياط بدور شعبى كبير لمواجهة ذلك الغزو فدافعوا عن مدينتهم ببسالة واستمر صمود أهل المدينة مدة أربعة شهور ، إلا أن الصليبيين فى النهاية استطاعوا الاستيلاء على هذا البرج ، فحزن المسلمون لذلك باعتبار أن هذا البرج هو قفل البلاد بالديار المصرية كما قال أبو شامة .... (٢)

وقد حدث فى تلك الأثناء أن توفى الملك العادل ، وذلك فى جمادى الأخرى سنة ٦١٥هـ / أغسطس سنة ١٢١٨م وقيل إنه مات غما لسقوط برج السلسلة (٣)

---

(١) وهو برج عال مبنى فى وسط النيل ، ودمياط بحزائه على حافة النيل من غربه وفى ناحيته سلسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط والأخرى علي النيل إلى الجيزة فتمنع كل سلسلة عبور المراكب من ناحيتها إذا أريد ذلك حين قتال العدو فهو قفل البلاد بالديار المصرية إذا أوثقت السلسلتان امتنع على المراكب العبور إليها ومتى لم يكن السلسلة عبرت المراكب وبلغت إلى القاهرة ومصر وإلى قوص وأسوان والله المستعان .

(أبو شامة : المزيل ص١٠٩ط الجيل - بيروت)

(٢) أبو شامة : المصدر السابق : نفس الصفحة .

(٣) ابن الأثير : الكامل ج٩ ص٣١٥ ، ٣١٦ وانظر أيضاً :

-KERR (ANTONY) : THE CRUSADERSP . 73 - FIRST EDITION LONDON 1966 .

- STEVENSON : THE CRUSAOEDERS IN THE EAST P.325 COMBRIDGE . 1907 .

- وكانت مدة سلطنة الملك العادل بمصر ثمان عشرة سنة وتسعة أشهر ، ولما مات خلف من الأولاد ثلاثة وهم : الكامل محمد ، والمعظم عيسى ، والأشرف موسى شاه أرمن ، فاستقر الملك الكامل محمد بعده بصر ، واستقر المعظم عيسى بحماه ، واستقر الملك الأشرف موسى بحلب . (ابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج١ ص٢٥٧ دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٨٢م ط٢ تحقيق محمد مصطفى).

- وفى هذا الصدد يمكن أن يقال إن العادل عمل على إعادة التماسك والوحدة التى بدأت تتفكك برحيل صلاح الدين ، ولكن من الظلم أن يعد هو شخصاً عاملاً من عوامل هذا التفكك انظر :(د. سوسن إبراهيم - الإخوة الملوك الثلاثة - رسالة دكتوراه ص١٦) .

السلطان الكامل وحروبه مع الصليبيين

سنة ٦١٥ - ٦٣٥هـ / ١٢١٨ - ١٢٣٧م

كان الملك الكامل قد حكم مصر نيابة عن أبيه السلطان العادل في سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م ، فلما مات أبوه استقل بحكمها دون معارضة ... (١)

وحياة السلطان الكامل السياسة هي كفاح ضد الصليبيين وضد إخوته الفائز والأشرف والمعظم عيسى ، واستطاع الكامل أن يخرج من هذا الكفاح منتصراً ومحتفظاً بقوته رغم أن بداية حكمه لم تكن تبشر له بالنجاح في هذا السبيل ... (٢)

وتولى السلطان الكامل الحكم في ظل ظروف سيئة سنة ٦١٥هـ / ١٢١٨م لأن الصليبيين كانوا منتصرين في ذلك الوقت في دمياط ، كما عارضه أيضاً عدد كبير من الأمراء في مصر ، كان على رأسهم عماد الدين أحمد بن المشطوب ... (٣)

---

(١) والسلطان الكامل هو أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب سادس ملوك مصر من الأيوبيين ، وكان الملك الكامل أكبر إخوته انظر :

(ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٥٨ - ٢٦٢ / السلوك : ج١ ق١ ص١٩٤ ط سنة ١٩٣٤م) .

(٢) علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ص١٨٤ .

(٣) عماد الدين أحمد بن المشطوب : كان أحد قواد السلطان الكامل الأيوبي وقد قام بتدبير مؤامرة لعزل السلطان الكامل وإحلال أخيه الأصغر (الفائز) ابن العادل محله في الحكم، ولذلك نفاه السلطان الكامل من مصر إلى الشرق في اليمن وقد مات بحران انظر: أبو شامة : المزيل ص ١١٦ - ١٢١ ط٢ دار الجيل - بيروت سنة ١٩٧٤م .

وكان هؤلاء الأمراء يريدون تولية أخيه الفائز بدلاً منه مما أدى إلى انسحاب الكامل إلى أشموم طناخ ، فترتب على ذلك استيلاء الصليبيين على دمياط وأخذها ... (١)

وبعد استيلاء الصليبيين على دمياط ، اختلفوا على أنفسهم ، وكان من أسباب ذلك العرض الذى قدمه لهم السلطان الكامل حيث اقترح عليهم تسليم بيت المقدس ، وإرجاع المملكة الصليبية إلى معظم مساحتها الأولى قبل فتوح صلاح الدين ، ما عدا بضعة بلاد صغيرة ، وذلك مقابل الجلاء عن دمياط والشواطئ المصرية .

إلا أن الصليبيين رفضوا ذلك لأنهم اعتقدوا أنه من السهل عليهم الاستيلاء على البلاد المصرية ، وكان من أسباب اختلافهم أيضاً أنهم لم يدركوا صعوبة السير فى الأراضى المصرية فى تلك الحال لجهلهم أحوال النيل وكثرة الترع فاختلف القواد فيما بينهم ... (٢)

فنشطت عند ذلك جهود المصريين ، وهددوا سفن الحجاج المسيحيين بين الإسكندرية وقبرص ودمياط وعكا ، فقرر الصليبيون الزحف على القاهرة ، وكانت معهم طوائف كثيرة العدد ووصلوا إلى مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات فى وقت ارتفع فيه فيضان النيل وزادت حرارة الجو .

فقطع المصريون السدود فغرقت أكثر الأراضى المحيطة بأعدائهم ، ولم يستطيعوا حتى الرجوع إلى أماكنهم بدمياط مرة أخرى ، فتجمد موقفهم ولم يبق

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٢٥٩ - ٢٦٢ / المقريزى - السلوك ج١ ق١ ص٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) د. إبراهيم العدوى : تاريخ العالم الإسلامى ص٢١٤ سنة ١٩٨٦م ج١ عصر البناء والانطلاق - مكتبة الأنجلو المصرية .

أمامهم إلا الصلح بعد أن عاينوا الهلاك ، وتم جلاؤهم عن دمياط سنة ٦١٨هـ / ١٢٢١م وبذلك فشلت الحملة الصليبية الخامسة ... (١)

عودة النزاع بين الأيوبيين سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م

ونتيجة للأطماع الداخلية بين أبناء العادل حدث نزاع بينهم فحاول كل منهم أن يجد قوى خارجية لتحميه ، فطلب السلطان الكامل قوى خارجية لكى يواجه بها اطماع أخيه المعظم ومعاونيه من الخوارزمية ، فأرسل الأمير فخر الدين يوسف إلى الإمبراطور فردريك الثانى إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة .. (٢) يطلب منه الحضور لمساعدته فى الشام فى مقابل أن يعطيه بيت المقدس .

وفى ذلك الوقت كان الغرب الأوروبى يضغط على فردريك الثانى ليقود حملة صليبية جديدة بعد أن فشلت الحرب الصليبية الخامسة ، فجاء بحملته (وهى الحملة السادسة) ووصل إلى عكا فى الشام سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م .

ويبدو أن السلطان الكامل كان يعلم جيداً أنه لن يستطيع أن يواجه جيش الإمبراطور فردريك الثانى ، وأن يحقق الحماية للثغور والبلاد فى الشام ، وأنه يستطيع أن يحقق بالصلح والسلام مالا يستطيع أن يحققه بالحرب ، فمال إلى عقد الصلح مع الإمبراطور فردريك الثانى ، وبخاصة لأنه هو الذى كتب إليه

---

(١) د. على حبيبة : الحروب الصليبية ص١٠٤ - ١٠٦ .

(٢) الإمبراطور فردريك الثانى : من ١٢١٥ - ١٢٥٠م كان صقليا تربى فى ظل مظاهر الحضارة العربية الإسلامية التى كان يكن لها كل تقدير ، كما كان واسع العلم غزير المعرفة ، قدم إلى الشرق بعد مراسلات عديدة مع السلطان الكامل انظر : (المقريزى : السلوك ج١ ق١ ص٢٢٨ - ٢٣٢) .

يستدعيه وتعهد له بالتنازل عن بيت المقدس والمناطق التي فتحها صلاح الدين بالساحل خوفاً من أن يستولى فردريك على ثغور الشام الأخرى فيهدد أمن بلاد الشام ويعرض أهلها لشر عظيم وخوف كبير .

وهذا ما أشار إليه " ابن أبى الدم " عندما تناول هذا الصلح فى كتابه " التاريخ المظفرى " حين قال : ومما لا يخفى عن ذوى البصائر ، فإن البيت المقدسى موضع عبادة المسلمين وللكفار فيه اعتقاد عظيم ، يحملهم على قصد المسلمين وبلادهم لأجله ، فسلم المولى السلطان الملك الكامل خلد الله سلطانه ذلك إليهم مع تهدمه وعدم حصانته حفظاً لبقية الثغور والبلاد ، واندفع من المسلمين بذلك شر عظيم وخوف وحصل الأمن بعد الهدنة .. (١)

وطبقاً لهذا الصلح والذى كان يسمى باتفاقية يافا سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ ، تقرر الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات على أن يأخذ الصليبيون بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وتبنين وصيدا .

وقد كان تسليم بيت المقدس للصليبيين مثيراً لموجة من السخط والأسى فى العالم الإسلامى حيث استعظم المسلمون هذا الحدث واشتد الإنكار على الملك الكامل وكثرت الشناعات عليه فى سائر الأقطار ، ومثال ذلك استنكار الشيخ شمس الدين يوسف سبط أبى الفرج ابن الجوزى على الملك الكامل من تسليم بيت المقدس للإمبراطور فردريك الثانى وقد كان فى كل مجلس يذكر فضائل بيت المقدس ويشنع القول فى تسليمه ... (٢)

- LANEPOOLE : THE HISTORY OF CAIRO . P . 196 - LONDON , 1902

(١) ابن أبى الدم : التاريخ المظفرى ورقة ٢٣٥ أحداث سنة ٦٢٥هـ – مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٦٠٤ " تاريخ " .

(٢) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص١٤١ ، ١٤٢ط١ المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٥هـ .

وفاة السلطان الكامل ونهاية حكمه :

عندما علم السلطان الكامل بأن أخاه الملك الصالح إسماعيل صاحب بصرى قد ملك زمام الأمور في دمشق ، أسرع بالحضور من مصر ، وقضى على تلك الحركة وحاصر دمشق ، وقطع الماء عنها حتى استولى عليها سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م ، ولم يلبث أن انتهى الأمر بعزل الصالح من دمشق وإعطائه إقطاعاً صغيراً في بعلبك والبقاع ... (١)

وكان السلطان الكامل في ذلك الوقت يتفقد أحوال البلاد الشامية فأقام في دمشق مدة يسيرة ومرض هناك فمات في سنة ٦٣٥هـ / ١٢٣٨م ، وقد أجمع المؤرخون على مدحه بأنه كان ملكاً جليلاً مهيباً حسن التدبير وبأنه كان محببا للرعية وكان محباً للعلم وعادلاً ، وقد كانت وفاته نذيراً بتفكك الدولة الأيوبية وانهيارها ... (٢)

السلطان العادل الثاني

سنة ٦٣٥-٦٣٧هـ / ١٢٣٧-١٢٤٠م

يطلق على هذا السلطان " العادل الصغير " أو " العادل الثاني " تمييزاً له

---

(١) المقريزى : السلوك ج١ ق١ ص٢٥٦ ، ٢٥٧ ط سنة ١٩٣٤م .

(٢) كانت مدة سلطنة الملك الكامل بمصر نحو عشرين سنة وثلاثة وأربعين يوماً وكانت في أيام أبيه نحوها فحكم مصر قريباً من أربعين سنة ، وكان مولده في الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ٥٧٦هـ / ١١٧٨م ، ولما مات تولى بعده ابنه أبو بكر انظر : (ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٦٧ ، ٢٦٨) .

عن السلطان العادل أخو صلاح الدين ، وكان العادل الثانى نائباً عن أبيه الكامل فى حكم مصر ، فلما مات أبوه أصبح سلطاناً على مصر .

وقد مهدت نيابة العادل الثانى عن أبيه فى حكم مصر أن يتخطى أخاه نجم الدين أيوب ويحكمها بعد وفاة أبيهما الكامل بالطريقة التى تولى بها كل من العزيز والكامل عرش مصر من قبل ، على أن حكمه لم يستمر إلا سنة واحدة وشهرين كانت مليئة بالفتن والانقلابات ... (١)

الصالح نجم الدين أيوب سلطاناً على مصر
سنة ٦٣٧-٦٤٧هـ / ١٢٤٠-١٢٤٩م

والصالح نجم الدين أيوب هو السلطان السابع من ملوك بنى أيوب بمصر ، بويع بالسلطنة وعمره أربع وثلاثين سنة ، وكان مولده بمصر سنة ثلاث وستمائة ، استكثر من شراء المماليك الأتراك وبنى لهم قلعة بالروضة وسماهم المماليك البحرية (٢)

ونتيجة لانشغال السلطان العادل الثانى باللهو والبعد عن أمور دولته ، قام الأمراء بعزله وسلطنة الصالح أيوب سنة ٦٣٧هـ / ١٢٤٠م .

وحدث أثناء سلطنة الصالح أيوب أن استولت طائفة من الخوارزمية المسلمين ... (٣) على بيت المقدس من الصليبيين سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م .

---

(١) على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ص١٥١.

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٦٩ .

(٣) الجنود الخوارزمية : كانوا فى الأصل جنود جلال الدين خوارزمشاه سلطان الدولة الخوارزمية التى قضى عليها جنكيز خان المغولى وشرد جنودها فصاروا مناسر حربية تحاول الدخول فى طاعة من يريد استخدامها انظر : د. أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام هامش ص١٠٠ط سنة ١٩٨٨م بالأسكندرية .

الحملة الصليبية السابعة على مصر

سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م

فزعت أوروبا وثارت نتيجة استيلاء المسلمين على بيت المقدس سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م وكان أشهر ملوك أوروبا فى ذلك الوقت لويس التاسع ملك فرنسا ، المعروف فى التاريخ الفرنسى بالقديس لويس ، فأعد هذا الملك حملة صليبية معظمها من الفرنسيين ، وأبحر بها سنة ٦٤٦هـ / سنة ١٢٤٨م إلى قبرص لقضاء فصل الشتاء هناك ، ثم اتجهت الحملة من قبرص إلى مصر ... (١)

وعلم الصالح أيوب أن مدينة دمياط سوف تكون هدف الصليبيين المفضل لغزو مصر فعسكر بجيوشه جنوبها فى بلدة أشموم طناخ ، وأشمون الرمان بمركز دكرنس فى العصر الحاضر فأمر بتحصين دمياط وتزويدها بالذخائر والأسلحة ، ووضع فيها حامية من عرب بنى كنانه ، كما أرسل إليها جيشاً بقيادة الأمير فخر الدين يوسف ، وأمره أن ينزل بساحلها الغربى ليحول دون نزول العدو إلى الشاطئ ، فنزل هناك تجاه المدينة وأصبح النيل بينه وبينها ... (٢)

ثم وصل الصليبيون فى مواجهة البر الغربى للنيل بدمياط فوقعت بينهم وبين المسلمين مناوشات كان من نتيجتها انسحاب الأمير فخر الدين وجيشه، فأصبحت دمياط خالية تماماً ، فاستولى عليها الصليبيون دون مقاومة سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩ ... (٣)

---

(١) د. إبراهيم العدوى : تاريخ العالم الإسلامى ج١ عصر البناء والانطلاق ص٢١٥ مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة جامعة القاهرة سنة ١٩٨٦م .

(٢) د. أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ص١٠٢ .

(٣) أبو شامة : المذيل حوادث سنة ٦٤٧هـ ص١٨٣ط دار الجيل - بيروت وانظر أيضاً :
د. وفاء محمد على : دراسات فى تاريخ الدولة الأيوبية ص٨٥-٩٤ط دار الفكر العربى بالقاهرة .
وعبد الحفيظ محمد على : الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى فى القرنين الثانى والثالث عشر الميلادى ص١١٦-١١٩ - رسالة ماجستير بآداب القاهرة رقم ١٣١٦ سنة ١٩٧٥م .

وقد غضب الصالح أيوب لذلك فأمر بشنق أمراء كنانة الذين تركوا دمياط دون قتال ، كما اشتد في تأنيب الأمير فخر الدين يوسف ، ولكن لم يلبث أن توفي الصالح أيوب ، دون أن يقوم بعمل دفاعي لصد الصليبيين ، وبسبب هذه الوفاة المفاجئة واستيلاء الصليبيين على دمياط ، كتمت شجر الدر نبأ وفاة زوجها الصالح أيوب ، حتى يحضر الوارث الشرعي للبلاد وهو توران شاه ... (١)

لويس التاسع وموقعة المنصورة

سنة ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م

بعد أن علم الفرنج بقيادة لويس التاسع بوفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب، انتهزوا الفرصة ، فخرجوا من دمياط وزحفوا جنوباً على شاطئ النيل بالقرب من فارسكور ، في الوقت الذي وصل فيه توران شاه إلى المنصورة وبويع بالسلطنة ... (٢)

فعبر الصليبيون النيل ووصلوا إلى المنصورة ، فالتقى بهم الأيوبيون ، وكبار قواد المماليك البحرية وعلى رأسهم بيبرس البندقداري ، فهزموا الصليبيين هزيمة ساحقة ، ولم يبق منهم إلا القليل الذي وقع في الأسر ، وكان على رأس هؤلاء

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج٦ ص٣٦٤ وانظر أيضاً :

د. جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ص١٥٣ - ١٥٥ الإسكندرية سنة ١٩٦٨م .

(٢) السلطان المعظم توران شاه هو الثامن من ملوك بني أيوب بمصر ، وكانت ولايته للسلطنة بعد وفاة أبيه بأربعة أشهر انظر :

ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٧٩ .

الأسرى لويس التاسع قائدهم الذى سجن فى دار القاضى فخر الدين إبراهيم بن لقمان بالمنصورة ، وكان ذلك سنة ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م ... (١)

ضعف الدولة الأيوبية وسقوطها :

فى سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م اتفق الأمراء المماليك على قتل توران شاه لأنه قام بعزلهم وتوعدهم بالقتل ، فقتلوه بعد سبعين يوماً من توليته ... (٢) وبمقتله سقطت الدولة الأيوبية .

وقد انتهت هذه الدولة بعد أن نالت مكانة عظيمة فى تاريخ مصر والإسلام ... (٣)

---

(١) عن موقعة المنصورة انظر :

جوانفيل : مذكرات جوانفيل (القديس لويس وحملاته على مصر والشام ص١٠١ ، ١٠٩ ترجمة د. حسن حبشى ط القاهرة سنة ١٩٦٨م .

ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ج٢ ص١٨٢ط القاهرة ١٢٥٨هـ .

رينسمان : تاريخ الحروب الصليبية ص ج٣ ص٤٦٠ ، ٤٦٣ ترجمة د. السيد الباز العرينى ط٢ بيروت سنة ١٩٨١م .

(٢) ذكرت الحديث هنا عن مقتل توران شاه لتمام الحديث عن نهاية الدولة الأيوبية ولكن سيأتى الحديث مفصلاً عن مقتله فى هذا البحث عند الحديث عن ظهور دولة المماليك البحرية .

(٣) عن ضعف الدولة الأيوبية وسقوطها انظر :

ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ، ص٣٧١ .

المقريزى : السلوك ج١ ق١ ص٣٦١ .

على إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ص١٥٦ ، ١٥٧ .

د. إبراهيم العدوى : نهر التاريخ الإسلامى - منابعه العليا وفروعه العظمى ط١ ص٤٠٨ .

فقد بدأت عهدها بانقلاب خطير شمل الناحيتين الدينية والسياسية فمن الناحية الدينية حولت مصر من المذهب الشيعي الذي عمل الفاطميون على نشره في تلك البلاد إلى المذهب السني الذي يعتنقه العباسيون .

ومن الناحية السياسية فيمكن القول إن الأيوبيين قد حطموا دولة الفاطميين، تلك الدولة التي كانت قد ضعفت من أثر النزاع والانقسام ، فأدى ذلك إلى تدخل الطامعين فيها من جيرانها ، مما أضعف مركزها وقل من هيبتها ، وانتهى الأمر بزوالها وقيام الدولة الأيوبية مكانها .

وقد كان من أسباب سقوط الدولة الأيوبية ، الاختلاف بين أبناء البيت الأيوبي في مصر والشام ، مما أدى إلى قيام الحروب بينهم ، وكذلك المنازعات التي ظلت قائمة بين ملوك بني أيوب من ناحية ، وأبناء البيوت القديمة من ناحية أخرى ، مثل أبناء البيت الزنكي في الموصل وسنجار وكيفا وآمد وخرتبرت ، فضلاً عن بني سكمان في خلاط ... (١)

ويمكن القول إن سلاطين الأيوبيين قد نهجوا نهج صلاح الدين في التصدي للصليبيين ، ووقفوا حجر عثرة في طريقهم ، ولم يتركوهم يحققوا أطماعهم في الاستيلاء على مصر وسوريا .

وبعيداً عن السياسة فيمكننا أن نقول إن الأيوبيين قد أقاموا المنشآت ، ونهضوا بالتعليم وغيره .

(١) د. سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ص٣ .

ظهور دولة المماليك البحرية والانفصال بين مصر والشام :

بعد سقوط الدولة الأيوبية بسبب الخلافات الداخلية بين أبنائها ، وغير ذلك من الأحداث السياسية الأخرى ، ظهر عنصر جديد يحكم البلاد وهم (المماليك) ، والمماليك طائفة من الأرقاء اشتراهم أسيادهم بالمال ، ثم عنوا بتربيتهم عناية خاصة .

ولكن استطاع هؤلاء الأرقاء أن يسيطروا سيطرة تامة على قطر غنى كمصر، وعلى غيره من الأقطار الأخرى ، كما استطاعوا فى سهولة ويسر أن يخلقوا لأنفسهم هذه الإمبراطورية الواسعة التى حافظوا عليها ، وقاموا على حمايتها ،وحماية مصر والإسلام من خطرين داهمين عظيمين هما خطر الصليبيين وخطر المغول ... (١)

وعند دراسة تاريخ هؤلاء المماليك ، نجد أن ظهورهم فى العالم الإسلامى يرجع إلى ما قبل قام دولتهم بأمد كبير ، حيث يرجع إلى عهد الدولة العباسية أيام الخليفة المأمون العباسى (سنة ١٩٨-٢١٨هـ / ٨١٣-٨٣٣م) حيث كان فى جيشه بعض المماليك المعتوقين ، وقد أخذ بمبدأ استخدام المماليك ، ولاة مصر الإسلامية من الطولونيين إلى الإخشيديين ثم الفاطميين .

(١) د. عبد اللطيف حمزه : الحركة الفكرية فى مصر ص٤٢ ، ٤٣ط دار الفكر العربى ود. سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ص ١٧٦ .

وعن المماليك ونشأتهم انظر :

د. أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ج٥ ص٢١٥ - ٢٢٤ ط٧ سنة ١٩٨٦م مكتبة النهضة المصرية .

وقد أكثر أمراء العصر الأيوبى من شراء المماليك ليكونوا عدة لهم وسندا ، وهكذا ازداد نفوذ المماليك فى شتى الإمارات والدول الإسلامية فى الشرق الأدنى ، ومن جملتها مصر ، وقد سميت تلك الدولة بالمماليك لأن الذى أنشأها الملك الصالح أيوب وأطلق عليها البحرية نسبة إلى " بحر النيل " ... (١)

ويبين الدكتور محمد مصطفى زيادة أن اسم البحرية أطلق فى عهد السلطان العادل ، الذى أنشأ طائفة عرفت (بالبحرية العادلية) ثم جاء ابنه الصالح أيوب ، فأنشأ الفرقة التى سماها (بالبحرية الصالحية) ... (٢)

سلطنة شجر الدر سنة ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م ... (٣)

بعد هزيمة الصليبيين فى المنصورة سنة ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م بقيادة توران

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ ص١٥ دار الكتب الخديوية بالقاهرة سنة ١٩١٤م .
والمقريزى : الخطط ج٢ ص٢١٧ط دار مؤسسة الحلبى بالقاهرة .
وابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ج١ ورقة ٢ - مخطوط بدار الكتب المصرية فى ثلاثة أجزاء تحت رقم ١١١٣ (تاريخ) .

(٢) محمد مصطفى زيادة : بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك - مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة العدد ٤ ج١ ص٧٢ سنة ١٩٣٦م .

(٣) المصادر المعاصرة وشبه المعاصرة تذكر الاسم كما ورد هنا (شجر الدر) أما المراجع المتأخرة فتذكره بصيغة (شجرة الدر) ومن الواضح أن تسميه المعاصرين وأشباههم هى الأصح ، وقد أيد المؤرخون الأوربيون صحة تسميتها بشجر الدر أمثال دائرة المعارف الإسلامية ، ولين بول وجاستون فييت ، وكنج وغيرهم انظر :
د. أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام هامش ص١٠٥ سنة ١٩٨٨م .

شـاه ، لم يحسن معاملة أمراء المماليك الذين كانوا سنده في معاركه مع الصليبيين، فأساء إليهم جميعاً وتوعدهم بالقتل ، كما أساء معاملة شجر الدر ، فاتفقوا على قتله ، وتم ذلك في فارسكور ... (١)

ثم تولى الحكم بعد ذلك شجر الدر ، ولكنها لم تستمر في الحكم أكثر من ثمانين يوماً ، حيث استنكر الرأى العام الإسلامي تولى امرأة حكم المسلمين ، كما لم يتقبل الخليفة المستعصم بالله (سنة ٦٤٠-٦٥٦هـ / ١٢٤٢-١٢٥٨م) هذا الأمر وأرسل يقول " أعلمونا إن كان ما بقى عندكم في مصر من الرجال من يصلح للسلطنة ، فنحن نرسل إليكم من يصلح لها " ... (٢)

كما رفض أبناء أيوب بالشام وغيرهم قبول سلطنة شجر الدر ، فتزوجت من عز الدين أيبك التركماني (أتابك العسكر) وتنازلت له عن السلطنة ... (٣)

سلطنة المعز أيبك سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م

بعد أن تولى المعز أيبك الحكم ، حاول أبناء أيوب في الشام بقيادة الناصر يوسف الأيوبي طرد المماليك من مصر ، وإعادة حكمها إليهم بوصفهم من ذرية صلاح الدين الأيوبي ، إلا أنهم فشلوا في ذلك ، حيث ظهر خطر المغول في ذلك الوقت مما جعلهم يقبلون دعوة الخليفة المستعصم للصلح سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م

---

(١) فارسكور : بلدة تقع على شاطئ النيل على الضفة الشرقية بالقرب من دمياط .
ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص٢٢٨ط دار صادر - بيروت .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٨٤ ، المقريزى : السلوك ج١ ق١ ص٣٦٧ .

(٣) العينى : عقد الجمان ص٢٩ ، ٣٠ .

على أن يكون للمماليك مصر وجنوب فلسطين ، وتكون دمشق وحلب وغيرها من البلاد الشامية للأيوبيين ... (١)

واستمر عز الدين أيبك في الحكم إلى أن حدث خلاف بينه وبين زوجته شجر الدر التي كانت تطمع في السلطنة ، فحرضت جماعة من الخدم على قتله ، وتم قتله فعلاً ، ولكن المماليك المعزية لم يغفروا لها ذلك ، فقتلوها بعد قليل ... (٢)

وبعد ذلك اتفق الأمراء المماليك على سلطنة ولده على مكانه ولقبوه بالمنصور ولكنه كان لا يزال صغيراً في الحادية عشرة من عمره ، فوقع الاختيار على سيف الدين قطز ليكون أتابكاً له ... (٣)

السلطان قطز سنة ٦٥٧هـ - ٦٥٨هـ ... (٤)

في سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ظهر خطر التتار في بغداد فسيطروا عليها ، وقتلوا الخليفة العباسي المستعصم بالله ، فأخذوا يتطلعون لمصر والشام ،

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم ج٦ ص٣٧٥ - ٣٧٦ ، ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص٢٨٤ .

(٣) د. فايد حماد عاشور : العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى ص٣٩ ط دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٦م .

(٤) والسلطان قطز هو الثالث من ملوك الترك وأولادهم بالديار المصرية ، وكان أصله من مماليك المعز أيبك التركماني ، وكان قد بويع بالسلطنة سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م ، انظر : الداوداري : درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان ج١ ورقة ٣٧ ، مخطوط رقم ٦٥٤ (تاريخ) معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

فاستطاع قطز أن يخلع المنصور على ويحل محله فى الحكم بموافقة الأمراء المماليك ، وذلك لكى يستعد لمهاجمة المغول الذين اشتد خطرهم فى ذلك الوقت (١)

موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م .

كانت جيوش المغول قد دخلت بلاد الشام سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٨م ، واستولوا على عدة مدن ، وكانوا يقتلون ويأسرون ، ولم يبق أمامهم إلا مصر ، فأرسل هولاكو خطاباً إلى سلطان مصر قطز مهدداً ويطلب منه التسليم ... (٢)

إلا أن قطز رفض هذه الرسالة ، وعقد مجلساً مع كبار أمرائه فاستقر رأيهم على المقاومة وعدم الاستسلام ، فقتل رسل هولاكو ، وفى نفس الوقت كان هولاكو قد عاد إلى المغول فى الشرق عندما علم بوفاة أخيه وترك القائد كتبغا نائباً عنه فى الشام ، وحين علم كتبغا بوصول قطز بجيشه إلى الشام قرر المبادرة إلى لقائه فاتجه إلى " عين جالوت " ... (٣)

وفى هذه الموقعة استطاع قطز وقائده بيبرس البندقدارى هزيمة المغول هزيمة ساحقة ونصراً عظيماً ، فهذا النصر أوقف المغول عند حدود مصر الشرقية، وجعلتهم يشعرون بالخطر على وجودهم فى بلاد الشام بعد أن فقدوا قواتهم ، كما

---

(١) وبذلك انتهى حكم المنصور على بعد أن حكم سنتين وثمانية أشهر .

(٢) انظر نص الخطاب فى : المقريزى : السلوك ج١ ق٢ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

(٣) عين جالوت : مدينة فى فلسطين تقع بين بيسان ونابلس ، ابن عبد الظاهر : هامش الروض الزاهر ص ٦٤ .

رفع هذا النصر من روح المسلمين المعنوية فى بلاد الشام وغيرها ، وجعلتهم يناداون بوحدة مصر والشام تحت حكم المماليك الأقوياء ... (١)

وبعد هذا النصر الكبير لقطز قام بترتيب أمور بلاد الشام وتنظيم أمورها ، وخرج من دمشق عائداً إلى القاهرة ، وعندما وصل قرب الصالحية ، ابتعد عن معسكره للصيد ، فقتله بيبرس ومجموعة من الأمراء ، وهكذا قتل قطز ، ولم يمهله القدر أن يعود للقاهرة لتكتمل فرحته بنصره الكبير ... (٢)

وقيل إن من أسباب مقتله ، أنه كان قد وعد قائده بيبرس بإعطائه ولاية حلب إلا أن قطز أعطاها للأمير علاء الدين بن بدر الدين لؤلؤ ... (٣)

الظاهر بيبرس ٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م

بعد أن تمكنت الدولة المملوكية الأولى بالتغلب على معظم أبناء البيت الأيوبى، ثم بينت للعالم مقدرتها الحربية بالانتصار على المغول فى عين جالوت ، استطاعت أن تحمى نفسها من أن يفكر أحد فى انتزاع السلطنة من سلاطينها .

وتلك هى عوامل البقاء التى نعمت بها الدولة المملوكية الأولى عندما صار (الظاهر بيبرس) سلطاناً على مصر سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، حيث أضاف هذا

---

(١) د. على حبيبة : الحروب الصليبية ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

(٢) عن مقتل قطز انظر :

ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٠٥ - ٣٠٧ ، واليونينى : ذيل مرآة الزمان ج١ ص ٣٧٠ - ٣٧١ ط بحيدر أباد بالهند سنة ١٩٥٥م .

(٣) أبو الفداء : المختصر ج٣ ص ٢٠٧ مج ٢ ط مكتبة المتنبى بالقاهرة .

السلطان الجديد عوامل جديدة لا يستطيع القيام بها إلا حاكم بصير وموهوب وبتلك العوامل أتم بيبرس بناء الدعائم التى أقام عليها سلاطين المماليك بعده تاريخهم الطويل ... (١)

وقد تولى السلطان والقائد الكبير الظاهر بيبرس الحكم بعد مقتل البطل الشجاع الملك المظفر سيف الدين قطز ، حيث تشاور الأمراء فيمن يملكونه سلطاناً عليهم ، فوقع اختيارهم على الظاهر بيبرس ، ويقال إن الأمير فارس الدين أقطاى قال :" ينبغى ألا يلى السلطنة إلا من خاطر بنفسه فى قتل السلطان ، وأقدم على هذا الأمر العظيم ، فقال الظاهر بيبرس " أنا قتلته " فبايعه الأمراء بعد مبايعة الأمير المذكور على اختلاف طبقاتهم " ... (٢)

وبعد ذلك نودى فى القاهرة أن ترحموا على الملك المظفر وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ... (٣)

ويعتبر بيبرس أعظم سلاطين المماليك ، إذ اجتمعت فيه صفات العدل والفروسية والإقدام ، وقد سن بيبرس نظام ولاية العهد لأول مرة فى تاريخ المماليك البحرية ، وحصر وراءه العرش فى أسرته سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م وذلك بتوليته ابنه

---

(١) د. أحمد مختار العبادى : قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ص ١٧٧ ط ١٩٨٨م.

(٢) النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ج٣٠ ص ١٣ ، ١٤ – تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، مركز تحقيق التراث سنة ١٩٩٠م .

(٣) الظاهر بيبرس : هو السلطان الرابع من ملوك الترك ، أعتقه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب من جملة المماليك البحرية وكان مولده ببلاد قبجاق سنة ٦٢٠هـ ، انظر : ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٠٨ .

محمد بركه خان عهده ليحول بذلك دون تدبير الدسائس والمؤامرت التى كان يحيك شباكها كبار الأمراء حول عرش السلطان القائم ، ولكى يحتفظ فى بيته بالسلطنة بعد وفاته ... (١)

السلطان بيبرس وإحياء الخلافة العباسية :

عندما سقطت الخلافة العباسية سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٨م لم يكن ذلك حدثاً مفاجئاً ، وإنما كان نتيجة حتمية لضعف العالم الإسلامى ، فكيف يواجه المسلمون التتار بقوتهم الطاغية ، وفى الوقت نفسه يقاتل بعضهم بعضاً ، وينهب بعضهم أرض بعض إذا دخلها ، والمحنة دائرة عليهم ، والشدة نازلة بهم ... (٢)

ومع ذلك كان سقوط الخلافة العباسية قد هز العالم الإسلامى فى ذلك الوقت، فقد كانت الدولة العباسية من أطول الدول الإسلامية عمراً ، إذ عاشت منذ تأسيسها سنة ١٣٢هـ حتى سقوطها سنة ٦٥٦هـ وهى مدة زمنية طويلة ، كما أنها امتدت من حيث الاتساع المكانى فشملت أجزاء كبيرة من الوطن الإسلامى ، إذ امتدت من حدود الصين شرقاً حتى الجزائر غرباً ... (٣)

فرغب بيبرس فى إعادة هذه الخلافة العباسية ، ليكسب حكمه صفة الشرعية

---

(١) على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ص ١٦٥م .

(٢) د. حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ج٤ ص١٣٦ ط٢ مكتبة النهضة سنة ١٩٨٢م .

(٣) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ج٢ ص٣ القاهرة سنة ١٩٦٧م .

وبخاصة بعد أن أصبحت مصر فى ذلك الوقت هى مركز العالم الإسلامى بعد موقعة عين جالوت ، كما أصبحت هى الوحيدة التى تستطيع فرض حمايتها على المسلمين ضد أعدائهم من المغول والصليبيين .

فانتهز بيبرس الفرصة ، وطلب استدعاء أحمد بن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله ، فأعلنه خليفة على المسلمين سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م ولقب بالمستنصر بالله ، كما قام الخليفة بتقليد بيبرس بالسلطنة ، وبإحياء الخلافة العباسية اكتسبت سلطنة بيبرس صفة شرعية بفضل التقليد الذى حصل عليه من الخليفة ، من جانب أعدائه ومنافسيه فى الداخل والخارج ... (١)

وبذلك حلت القاهرة محل بغداد فى كونها أصبحت قاعدة الخلافة العباسية ، كما أنها استمرت بالقاهرة (وكانت اسمية فقط) حتى أسقطها الأتراك العثمانيون عندما دخلوا مصر سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧ ... (٢)

بيبرس وصراعه مع الصليبيين والمغول :

بعد أن جهز بيبرس جيشه ، واعتنى بالأسطول ، أصبح على استعداد تام لمحاربة الصليبيين ، والقضاء عليهم ، كما فعل السلطان صلاح الدين الأيوبى قبل ذلك .

ففى أحداث سنة ٦٦١هـ / ١٢٦٢م يذكر العينى استيلاء بيبرس على قلعة

---

(١) على إبراهيم حسن : مصر فى العصور الوسطى ج٢ص٣ القاهرة سنة١٩٦٧م .

أبو الفداء : المختصر ج٣ ص٢٢٤ .

السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣١٧ ، ٣١٨ ط سنة ١٢٥١هـ .

بيبرس المنصورى : التحفة الملوكية ص٤٧ ط سنة ١٩٨٧م .

(٢) د. نعمان سليمان : جهود المماليك فى تصفية الوجود المغولى بالشام ص ٤١ .

الكرك ، حيث يقول " ولما خرج السلطان من القدس الشريف ، سار نحو الكرك ، ونزل عليها فى الثالث عشر من جمادى الآخرة ، فطلب أهلها منه العفو ، فأحسن إليهم وأعطاهم حتى رضوا ، وتسلم القلعة ، وطلع عليها ، وأحضر دواوينها ، ورتب أمر جيشها ... (١)

وفى سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م استولى بيبرس على قلعة قيسارية حيث يقول ابن عبد الظاهر مؤلف سيرته " نزل عليها يوم الخميس تاسع جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وستمائة ، فنصبت عليها السناجق ، وحرقت أبوابها ، فهرب الفرنج ، وأسلموا القلعة بما فيها ، وتسلق إليها المسلمون من الأسوار ، ودخلوها من أعلاها وأسفلها ... (٢)

وافتتح بيبرس بعد ذلك الكثير من المدن والقلاع الصليبية ، ففى سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م استولى على أنطاكية ، كما استولى بعد ذلك سنة ٦٦٩هـ / ١٢٧١م على صافيتا والقرين وحصن الأكراد .

وبعد ذلك أخذ بيبرس يستعد لمهاجمة طرابلس ذاتها ، لولا وصول الأمير إدوارد الإنجليزى إلى بلاد الشام ، ومعه بضع مئات من المحاربين ، ما جعل بيبرس يخشى أن يكون ذلك مقدمة لحملة صليبية كبيرة ... (٣)

---

(١) العينى : عقد الجمعان ص ٣٥٧ .

(٢) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٣) د. السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ص ٢٦٩ .
وأنور زقلمة : المماليك فى مصر ص ٣٧ ط٢ سنة ١٩٦٧م بالإسكندرية .

ويتضح من ذلك أن بيبرس حرص على القضاء على الصليبيين بالشام ، كما دفعه ذلك أيضاً إلى القضاء على نفوذ الباطنية الحشيشية ، والاستيلاء على حصونهم ... [1]

وكان من جهود بيبرس الناجحة ، محاربة مغول فارس الوثنيين الذين كان يقودهم هولاكو ... [2] فاستطاع بيبرس أن يطاردهم ويحتل قلاعهم وحصونهم ، وقد كان موقفهم دائماً هو موقف المعتدى من المسلمين فى الشام ، فبعد وفاة هولاكو جاءت الأخبار سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م بأن أبغا - وهو ابن هولاكو - ملك التتار قد وصل إلى الفرات وحاصر ألبيرة ... [3]

---

(١) الباطنية الحشيشية : اسم أطلق على الباطنية من الشيعة الإسماعيلية بالشام كانوا أتباع الحسن بن الصباح الذى ظهر فى أواخر القرن الخامس الهجرى ، وتوارث أتباعه مذهبه ، وكانوا يعملون على اغتيال خصومهم ، وقد حاصرهم صلاح الدين فى قلعة الباطنية ، وقتل كثيراً منهم ، ولم يتركهم إلا بعد أن شفع فيهم شهاب الدين الحارسى خال صلاح الدين ، وكان ذلك فى سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٦م وعن هذه الطائفة انظر :

- ابن واصل : مفرج الكروب ج١ ص ٢٤٧ ، ٢٤٩ .
- أبو شامة : الروضتين ج١ ص٢٤٠ .

(٢) كان هولاكو ملكاً جباراً محباً لسفك الدماء ، قتل الكثير من المسلمين وكان مؤسس مغول فارس وقائدهم وقد جاء اسم هولاكو فى كثير من كتب التاريخ القديمة باسم هلاوون أو لاوون وكانت مدة حكمه حوالى عشر سنين انظر :

ابن كثير - البداية والنهاية ج١٣ج١٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٨ ط دار الفكر العربى .

ود. عبد المعطى الصياد : المغول فى التاريخ ج١ ص ٣٢٤ ط دار النهضة العربية - بيروت .

(٣) ألبيرة : تقع بين حلب والثغور الرومية قرب سميساط انظر :

ياقوت : معجم البلدان ج١ ص٥٢٦ خمسة اجزاء ط دار صادر - بيروت .

فدارت معركة كبيرة بين المسلمين والمغول قتل فيها عدد كبير ، في الوقت الذى كان فيه الظاهر بيبرس بدمشق ، فلما علم بذلك توجه إلى ألبيرة لفك الحصار عنها ، وقبل أن يصل إليها كان المغول قد فكوا الحصار عنها ، وهربوا لخوفهم من قيام بيبرس بمحاربتهم ، فدخل السلطان ألبيرة وخلع على نائبها ، وأقره على حاله ... (١)

ففر المغول بعد ذلك ، وتحالفوا مع سلاجقة الروم بآسيا الصغرى ... (٢) فقام بيبرس سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٦ بإعداد جيش كبير ، لمحاربة المغول وسلاجقة الروم ، وفي موقعة الأبلستين ... (٣) ، استطاع بيبرس أن ينتصر عليهم ، فقتل وأسر من المغول وحلفائهم من سلاجقة الروم عدد كبير ، وفر من استطاع منهم النجاة ... (٤)

---

(١) انظر : ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٣٢ .

(٢) سلاجقة الروم : كانت دولة سلاجقة الروم تجاور الشام من الناحية الشمالية ، وكان المغول قد تغلبوا عليها وأجبروها على الخضوع والاستسلام لهم ، وكان سلطانها السلجوقي طفلاً صغيراً يسمى كيكاوس بن كيخسروا ، وقد جعل الأمر كله لوزيره معين الدين أو الدولة سليمان البرواناه ، الذى كانت بيده مقاليد الحكم ، وعلى أرض هذه الدولة جيش قوى مغولي استعمارى ينهب خيرات البلاد انظر :
إبراهيم حسن سعيد : الجيش في عصر سلاطين المماليك ص١٠١ – ١٢١ رسالة ماجستير بآداب القاهرة تحت رقم ١١٨٤ .
والمقريزى : السلوك ج١ ق١ ص١٤٧ .

(٣) الأبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من أبسس مدينة أصحاب الكهف (ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٧٥ دار صادر بيروت ٥ أجزاء) .

(٤) محمد كرد على : خطط الشام ج٢ ص ١١٤ دار العلم للملايين ط٢ سنة ١٩٦٩ – بيروت.

وبعد ذلك دخل بيبرس قيسارية ، ودعى له على منابرها ، وأظهر الأمراء د لزوم الولاء والطاعة ، وعندما بلغت أنباء هذه الهزيمة الفادحة للمغول فى أبلستين ملكهم أسرع بالحضور لمكان المعركة ، فشاهد جثث القتلى من قومه ، فاشتد غضبه ، وأصدر الأمر لأفراد جيشه بمهاجمة المسلمين فى قيسارية وغيرها من بلاد الروم ، وقتلهم أنى وجدوهم ، فكان ضحية ذلك الألوف من الأبرياء المسلمين فى ذلك الوقت ... (١)

وهذا بالطبع مما يؤخذ على بيبرس ، لأنه لم يعد إلى بلاد سلاجقة الروم لحمايتها وطرد المغول منها ، بحكم أنها صارت تابعة لدولته رسمياً .

وفاة بيبرس :

بعد كفاح طويل ، وجهد رائع مع الصليبيين والمغول ، توفى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بدمشق سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م بعد أن حكم دولة المماليك سبعة عشر عاماً أثبت فيها قدرته الحربية والسياسية ، وكانت دولة المماليك فى عصره من أقوى الدول ، كما أنه هزم الصليبيين وأعاد إعلان الخلافة العباسية ، وجعل مقرها القاهرة ، بعد بقاء الناس بلا خليفة نحو ثلاث سنين ... (٢)

---

(١) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج٤ ص ٩ .

(٢) د. محمود شلبى : حياة الملك الظاهر بيبرس ، الأسد الضارى قاهر التتار ومدمر الصليبيين ص ٣٧٦ط دار الجيل – بيروت سنة ١٩٩٢ وانظر أيضاً :
ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٣٨ – ٣٤٠ .

الملك السعيد سنة ٦٧٦ - ٦٧٨هـ

بعد وفاة بيبرس تولى أمور السلطنة من بعده أكبر أبنائه ، وهو الملك السعيد محمد بركة الذى سبق أن ولاه بيبرس فى حياته منذ سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م بعد أن أقسم الأمراء يمين الطاعة والولاء له ، وكان له من العمر ثمانى عشرة سنة عندما تولى الحكم ... (١)

ولكن لم يكن الملك السعيد فى مهارة أبيه السياسية ، حيث أساء معاملة الأمراء ، فكرهوه ، وكانت نتيجة غضبهم عليه أن جعلوه يتنازل عن السلطنة بعد أن حاصروه بالقلعة سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م ... (٢)

وبعد أن تنازل السعيد عن الحكم ، تولى مكانه أخوه بدر الدين سلامش ، الذى لقب بالملك العادل ، ونظراً لأن عمره فى ذلك الوقت كان سبع سنين وأشهر ، فقد عُين الأمير سيف الدين قلاوون أتابكا له ، حيث أصبح هو المتصرف فى حكم المملكة ... (٣)

وكانت نهاية دولة السلطان الكبير الظاهر بيبرس ، حين اجتمع قلاوون مع الأمراء والقضاة والأعيان سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م حيث تم الاتفاق على عزل بدر الدين سلامش ، نظراً لكونه صغير السن ، وأن الدولة تحتاج لرجل قوى يحكم البلاد ... (٤)

على أن الجدير بالذكر هنا هو أنه لم تكن هناك أحداث بالنسبة لحروب المغول أثناء حكم أبناء بيبرس ، وذلك لقصر فترة حكمهما .

---

(١) الذهبى : دول الإسلام ج٢ ص ١٧٧ ت محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٧٤م .

(٢) وكانت مدة حكم السعيد سنتين وشهرين وأيام وقد أقام فى الكرك إلى أن توفى سنة ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٧ ص ٢٨٨ طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب .
وقد أرسل بدر الدين سلامش إلى الكرك عند أخيه السعيد وكانت مدة حكمه حوالى مائة يوم (المقريزى - السلوك ج١ ق٢ ص ٦٥٥ ، ٦٥٨ ط ٢ سنة ١٩٥٧م لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

مصر والشام تحت حكم دولة قلاوون

سنة ٦٧٨ - ٧٨٤هـ / ١٢٧٩ - ١٣٨٢م

بعد إبعاد الملك العادل بدر الدين سلامش ، الابن الثانى للظاهر بيبرس سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م واختيار سيف الدين قلاوون ، ليحكم البلاد ، انتقل الحكم إلى دولته ، حيث ظلت السلطنة تحت حكم أبنائه وأحفاده ، حتى انتهاء دولة المماليك البحرية سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م ، وقد بلغ عدد من تولى الحكم من ذرية قلاوون أربعة عشر سلطاناً ... (١)

المنصور قلاوون سنة ٦٧٩ - ٦٨٩هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠م

وهو مؤسس دولة قلاوون ، والسابع من ملوك الترك ، وكان أصله من خالصة القفجاق ، وهم فرع من الترك ... (٢) وقد تولى الملك المنصور سيف الدين قلاوون حكم مصر سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م وبايعه الأمراء ، إلا أن أحدهم ، وهو الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، أحد كبار أمراء المماليك بالشام أعلن رفضه ، وقام بدعوة الناس فى دمشق على مبايعته بالسلطنة ، ولقب نفسه بالملك الكامل ، فما كان من المنصور قلاوون ، إلا أن أعد له جيشاً قوياً ، هاجمه بالقرب من دمشق ،

---

(١) وكلمة قلاوون فى وثائق الوقف نجدها قلاون ، وترد فى بعض المصادر قلاوون انظر : العينى : هوامش عقد الجمعان ص٦٤ ، ٦٥ .

(٢) النويرى : نهاية الأرب ج٣١ ص٧ .

فهزمه ، ففر سنقر الأشقر إلى شيرز وتحصن بها ... (١)

كما واجه قلاوون أيضاً معارضة الأمراء الظاهرية له ، وهم من مماليك الظاهر بيبرس ، وقد اتصل هؤلاء بالصليبيين سراً ، فعلم قلاوون بذلك ، وعاقب المتآمرين بالإعدام والسجن ، وبسبب ذلك فكر قلاوون فى إنشاء عصبية له من المماليك ، يعتمد عليهم فى مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التى تواجهه ، ولذلك أكثر من شراء المماليك ، وأنشأ فرقة جديدة منهم رباهم بأبراج القلعة ، ولذلك عرفوا بالمماليك البرجية ... (٢)

المنصور قلاوون وحروبه مع الصليبيين والمغول:

فى أحداث سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م يقول أبو الفداء " أرسل أبغا قوة احتلت بعض القلاع فى بلاد الشام ، ثم رحل المغول إلى حلب ، فدخلوها وأحرقوا جوامعها ومدارسها ، وقتلوا كثيراً من أهلها ... (٣)

وكان من الأسباب التى جرأت المغول على هذا الغزو ، النزاع الداخلى بين الحاكم وأمرائه ، وقتال المسلمين بعضهم بعضاً ، وعندما سمع الملك المنصور بذلك، أرسل إلى سنقر الأشقر بالشام بأن الاتفاق بينهما فيه مصلحة للمسلمين ، فاستجاب الأمير سنقر لذلك ، فجهز قلاوون جيشه ، واتجه إلى غزة لمحاربة المغول،

---

(١) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج٤ ص١٣ .

وشيرز : مدينة من جند حمص غربى حلب وهي ذات أشجار فى بساتين وفواكه كثيرة ، ولها ذكر فى شعر أمرئ القيس انظر :

القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ ص١٢٣ تحقيق / محمد مصطفى زيادة القاهرة سنة ١٩١٣ - ١٩١٩م

(٢) على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ص٥٥ ، ٥٦ .

(٣) أبو الفداء : المختصر فى أخبار البشر ج٤ ص١٤ .

إلا أن الأخبار جاءت بعودة المغول إلى بلادهم ، ومن ثم عاد المنصور إلى القاهرة ... (١)

كما هاجم قلاوون الصليبيين سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م حين استولى على حصن المرقب ... (٢) وحاصر طرابلس حتى سقطت فى قبضته سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م ... (٣)

وفى هذا الصدد يمكن القول إن السلطان قلاوون ، قد سار على سياسة بيبرس فى استرداد بلاد الشام من أيدى الصليبيين ، وفى أنه هزم التتار ، وأبعد أذاهم عن مصر والشام ... (٤)

وكان المنصور قلاوون يرغب فى أن يستولى على عكا ، لأنها كانت من أعظم المدن وأمنعها ، كما أنها صارت المركز الجديد لمملكة بيت المقدس الصليبية ، ولكن فى الوقت الذى أخذ فيه المنصور قلاوون يستعد فى مصر والشام للقيام بعمل

---

(١) عن هجمات المغول فى غزة وحلب وبلاد الشام انظر :

ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص٢٩١ ، ٢٩٢ ط دار الفكر العربى .

الذهبى : دول الإسلام ج٢ ص١٨١ ت . محمد أبو الفضل إبراهيم دار الكتب سنة ١٩٧٤م .

محمد كرد على : خطط الشام ج٢ ص١١٧ ط٢ دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٦٩م .

(٢) حصن المرقب : من الحصون الشهيرة بالمنعة والحصانة ، وهو كبير جداً ولم يفتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح ، فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير إليه بهدم ورم شعثه واستناب فيه بعض أمرائه ورتب أحواله انظر :

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٧ ص٣١٧ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٩ - ١٩٤٩م .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ج٣١ ص٤٧ .

(٤) على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ص٥٦ ، ٥٧ .

حربى كبير ضد عكا ، والاستيلاء عليها من أيدى الصليبيين ، إذا بالسلطان يموت فجأة سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م... (١)

ومن الملاحظ فى سياسة قلاوون ، أنه كان يستفيد من مهادنة الصليبيين فى مقاومة المغول ، وكان يلزمهم تقديم المعونة للمسلمين فى ذلك الوقت ، ونظراً لكثرة جهاد المنصور قلاوون مع المغول تارة ، ومع الصليبيين تارة أخرى ، فإنه جعل دولته فى حالة استعداد تام ودائم ، لتوقع حدوث أى حرب تحدث ... (٢)

السلطان الأشرف خليل

سنة ٦٨٩ - ٦٩٣هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٣م

قام السلطان المنصور قلاوون بتفويض السلطنة لابنه الملك الصالح علاء الدين على ، حيث يقول ابن إياس فى بدائع الزهور " وكان والده ولاه السلطنة فى أيام حياته ، وسبب سلطنته أن والده كان كثير الأسفار إلى البلاد الشامية ، فأقام على ذلك مدة فى حياة والده ، ثم إنه مرض ولزم الفراش حتى مات ... (٣)

---

(١) كانت مدة السلطان المنصور قلاوون فى الحكم بالديار المصرية والبلاد الشامية إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام ، وخلف من الأولاد ثلاثة ذكور : خليل ، محمد ، أحمد. انظر:

ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٦١ .

(٢) د. نعمان الطيب سليمان : جهود المماليك فى تصفية الوجود المغولى بالشام ص٩٤ مطبعة الحسين الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٨٨م .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ .

فكان من الطبيعى بعد موته ، أن يعهد المنصور قلاوون بولاية العهد لابنه الأشرف خليل ، مما جعل الأشرف خليل لم يلق معارضة تذكر عند توليته لأمور السلطنة ، وهكذا أقسم الأمراء الأيمان له ولقب بالأشرف سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م وكان الذى كتب له ولاية العهد القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ... (١)

وفى ذلك الوقت كان الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة ، يطمع فى أن يكون هو السلطان فحاول قتل الأشرف خليل ، إلا أن الأشرف عرف ذلك فقبض عليه وقتله ... (٢)

وكان من أهم أعمال الأشرف خليل مع الصليبيين ، هو طردهم من بلاد الشام، وكان على رأس ذلك فتح عكا سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م حيث يقول النويرى فى أحداث هذه السنة " بدأ حصار المدينة ورميها بالمجانيق ، فلما ضربت هال أهل عكا ما سمعوه بها ، وفر من استطاع الفرار من الصليبيين فى السفن إلى

---

(١) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور ص ٢٤٦ - ٢٤٨ تحقيق . د. مراد كامل وانظر أيضاً :

عبد الرؤوف أحمد عفيفى : الأشرف خليل بن قلاوون ص ١٠١ - ١١٩ رسالة ماجستير بآداب القاهرة رقم ١٧٢ .

(٢) وهو الأمير حسام الدين طرنطاى العزيزى تولى نيابة السلطنة بمصر سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م فى عهد السلطان الأشرف خليل الذى كان يكرهه لما كان يعامل به من الاطراح لجانبه والغض منه وإهانة نوابه وترجيح جانب أخيه الملك الصالح علاء الدين على والميل إليه، ولما أصبح الأشرف خليل ملكاً واستقر له الحكم وقف الأمير طرنطاى بين يديه فى نيابة السلطنة على عادته مع السلطان الملك المنصور أبيه فقبض عليه الملك الأشرف وأمر بقتله سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م انظر :

المقريزى : السلوك ج١ ق٣ ص ١٥٧ ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٦م .

عرض البحر ، وغرقت بعضها بسبب كثرة من تحمله من الفارين ... (١)

وهكذا استطاع الأشرف خليل أن يقضي على الصليبيين بالشام ، وبخاصة بعد أن استولى على المدن المجاورة لعكا ، فانتهى الوجود الصليبى من الشام ، الذي استمر أكثر من قرنين من الزمان ، ولكن لم يلبث أن قتل الأشرف خليل بسبب كراهية الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة له ، فتبعه الأمراء حين خرج للصيد وقتلوه سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م ... (٢)

السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٣ - ٧٤١هـ / ١٢٩٣ - ١٣٤١م

تولى السلطان الناصر محمد حكم مصر والشام ثلاث مرات وبذلك يعتبر هو أطول ملوك دولة المماليك مدة فى السلطنة ، حيث استمر حكمه فى الفترة الثالثة حتى وفاته (أى لمدة اثنين وثلاثين سنة وشهرين) ، وكان عمره عندما تولى الحكم فى الفترة الأولى سنة ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م تسع سنوات .

فكان من الصعب عليه أن يحكم دولة قوية مثل دولة المماليك ، ولهذا تركزت

---

(١) النويرى : نهاية الأرب ج٣١ ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٧٤ – ٣٧٨ .

وكان من أهم فتوحات الأشرف خليل : عكا وصيدا وبيروت وعثليت وقلعة الروم ومرعش وتل حمدون وصور انظر :

ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ج٨ ص ٣٤٦ ، ٣٥١ تحقيق ألرخ هارمان – القاهرة سنة ١٩٧١م .

ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص٣٧٨ .

زيترشتين : تاريخ سلاطين المماليك ص٣ ط ليدن سنة ١٩١٩م .

السلطة الحقيقية فى فترته الأولى من سنة ٦٩٣ - ٦٩٤هـ فى أيدى الأمراء الكبار فى الدولة فى ذلك الوقت وكان على رأسهم القائد زين الدين كتبغا المنصورى (١)

واستطاع كتبغا أن يتولى الحكم رسمياً ، بعد إبعاد الناصر لصغر سنه ، وتلقب بالملك العادل ، وخطب له بمصر والشام ، ونفى الناصر محمد إلى الكرك ... (٢)

على أن الجدير بالذكر هنا أن إقامة الملك الناصر محمد فى السلطنة بعد قتل أخيه الأشرف لم تلق معارضة من أهل الشام ، بل إنهم على العكس قد رحبوا بتوليته ولم يعترضوا على ذكر اسمه فى الخطبة وحده ، بعد أن كانت له ولأخيه الأشرف ... (٣)

وبعد أن تولى كتبغا الحكم ، عاش المصريون أسوأ أيامهم ، حيث حدث انخفاض شديد فى مياه النيل ، وغلاء فى الأسعار ، وانتشار الوباء والأمراض بين الناس ، كما أن السلطان زاد فى إكرام جماعة من التتار العويراتية الوثنيين

---

(١) والقائد كتبغا مغولى الأصل كان ينتمى إلى طائفة العويراتية كما كان من أسرى موقعة حمص الأولى التى وقعت سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م بين المغول والمسلمين أيام الظاهر بيبرس البندقدارى ، وكان عمره فى ذلك الوقت خمسين عاماً انظر :

ابن كثير : البداية والنهاية ج١٣ ص ٣٣٩ط دار الفكر العربى .

(٢) الكَرَك : بفتح الكاف والراء المهملة ثم كاف ثانية والألف واللام فى أولها غير لازمتين ، وتعرف بكرك الشوبك لمقاربتها لها وهى من البلقاء وهى مدينة محدثة البناء كانت ديراً يديره رهبان ثم كثروا فكبروا بناءه وأوى إليهم من يجاورهم من النصارى فأقاموا لهم به أسواقاً ودارت فيه معايش وأوت إليه الفرنج فأداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة انظر :

القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ ص ١٥٦ ط سنة ١٩١٣ - ١٩١٩م .

(٣) د. جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ص ٣٢ ، ٣٣ .

مما زاد من سخط الناس عليه وكراهيتهم له ... (١)

ونتيجة لأن كتبغا جعل الأمير حسام الدين لاجين ، الذى كان مشاركاً في قتل السلطان الأشرف خليل ، نائباً للسلطنة فإن هذا الأمير طمع فى السلطنة ، وقد نجح فى ذلك بعد أن أرغم كتبغا على أن يترك السلطنة ، ويتوجه إلى صرخد بدمشق ويقيم بها ، وبذلك أصبح لاجين سلطاناً سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م ... (٢)

وبعد عامين وثلاثة أشهر من حكم لاجين قتله أمراء المماليك وأعادوا الملك الناصر محمد للمرة الثانية ، بعد أن عاد من الكرك إلى مصر ، وكان عمره فى ذلك الوقت خمس عشرة سنة ... (٣)

---

(١) العويراتية : طائفة كان ينتسب إليها السلطان كتبغا نزلوا ببلاد الشام وكان عددهم ضخماً فسار جزء منهم إلى مصر والجزء الأكبر على ساحل البحر الأبيض بالقرب من عثليت ومع مرور الأيام هلك الكثير من هذا الجزء فكان أمراء الشام يأخذون أولادهم للخدمة وكثر الزواج من بناتهم لشدة حسنهن ثم تفرق من بقى منهم فى البلاد واعتنقوا الإسلام ، أما الجزء الذى سار إلى مصر فقد استقبلهم كتبغا وأنزلهم بالحسينية وخلع عليهم وأعطاهم الإقطاعات مع بقائهم على كفرهم وعدم دخولهم فى الإسلام فأنف الناس فى مصر منهم وكرهوهم بل كرهوا كتبغا الذى أكرمهم مع كفرهم وتفرقوا فى البلاد بعد ذلك انظر :

د. نعمان الطيب سليمان : جهود المماليك فى تصفية الوجود المغولى بالشام ص ١١٢ - ١١٤ ط سنة ١٩٨٨م .

(٢) كانت مدة سلطنة العادل كتبغا بالديار المصرية سنة وعشرة أشهر إلا أياماً ، واستمر مقيماً بصرخد إلى سنة ٦٩٩هـ فلما عاد الناصر محمد بن قلاوون للمرة الثانية أنعم عليه بمملكة حماه وأعمالها ، وكان الناصر محمد يميل إليه دون مماليك أبيه واستمر كتبغا فى حماه إلى أن مات سنة ٧٠٢هـ انظر :

ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٩٢ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ج٣١ ص ٣٧٠ ، ٣٧١ .

وكانت مقاليد الأمور فى الفترة الثانية للناصر سنة ٦٩٨ - ٧٠٨هـ / ١٢٩٨ - ١٣٠٨م بيد الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة ، وبيبرس الجاشنكير ، ذلك لأن السلطان الناصر كان لا يزال صغيراً فى هذه الفترة أيضاً على أن يقوم بتدبير أمور المملكة .

ونظراً لأن السلطان الناصر كان مقبولاً فى مصر والشام فى ذلك الوقت ، ومحبوباً لدى الكثيرين ، فإنه استطاع أن يعود للحكم للمرة الثالثة ، بعد أن فشل بيبرس الجاشنكير فى أن يبقى فى الحكم بسبب كراهية الأمراء له ، وكانت الفترة الثالثة للناصر قلاوون تبدأ من سنة ٧٠٩ - ٧٤١هـ / ١٣٠٩ - ١٣٤٠م ، وقد توفى سنة ٧٤١هـ / ١٣٤١م ... (١)

وقد ظل ملك مصر فى بيت السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، لمدة أربعين سنة بعد وفاته ، توارث فى العشرين عاماً الأولى ثمانية من أولاده على التعاقب ثم انتقل الحكم إلى أحفاده فى العقدين التاليين ، وقد امتازت هذه الفترة بكثير من الأحداث الداخلية ، إذ تقلد حكم مصر سلاطين أطفال كانوا يولون ويعزلون طبقاً لأهواء المماليك الذين ازداد نفوذهم فى ذلك العهد ... (٢)

وإلى هنا يتوقف الحديث عن دولة قلاوون وينتهى الحديث عن عرض الأوضاع السياسية للقرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى فى مصر وسوريا .

---

(١) عن فترة الناصر محمد الثالثة انظر :
محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ص ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ .
زيترشين : تاريخ سلاطين المماليك من سنة ٦٩٠هـ حتى سنة ٧٤١هـ ص ١٤٥ ، ١٤٦ ط ليدن سنة ١٩١٩م .

(٢) د. محمد جمال الدين سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر ص ٥٣ ط القاهرة سنة ١٩٤٧م .

الحياة الثقافية فى مصر وسوريا
خلال القرن ٧هـ / ١٣م

عند الحديث عن الحياة الثقافية فى مصر والشام ، فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، نرى أنه من الأفضل الحديث عن ذلك دون فصل بين الإقليمين ، فقد كانت بلاد الشام فى عصرى الأيوبيين والمماليك جزءاً من الدولة المصرية ، وقد تحققت الوحدة الكبرى بين البلدين منذ أيام صلاح الدين الأيوبى ... (١)

ويعتبر العصر الأيوبى نموذجاً لازدهار الحياة الثقافية في مصر والشام ، حيث يقول أحد الباحثين : " والحق أننا نقرأ تاريخ الملوك الذين تعاقبوا على مصر من لدن صلاح الدين الأيوبى ، إلى آخر ملك بنى أيوب فنوشك ألا نصادف فيهم ملكاً قليل العناية بالعلم ، أو فاتراً فى تشجيع أهله وتقريبهم إليه ، بل أوشك أن يكون كل واحد منهم إما شاعراً ، أو فقيهاً ، أو محدثاً ، أو ذا تصانيف ونحو ذلك " ... (٢)

ولعل اهتمام سلاطين بنى أيوب بالكتاب والعلماء ، إنما كان ينبع من أن هؤلاء الكتاب هم سند الدولة والمدافعين عنها فى السلم والحرب ، وهم الذين يقومون بالدعاية لها عن طريق المكاتبات التى تصدر عنهم إلى غيرهم من الملوك

---

(١) د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ١٩٧ القاهرة سنة ١٩٦٥م .

* وهنا نلاحظ أن الحديث عن الحياة الثقافية في القرن السابع ينضم تحته الحديث عن جزء من الدولة الأيوبية من بداية هذا القرن وحتى منتصفه ، وجزء من الدولة المملوكية ويبدأ من منتصف هذا القرن وحتى نهايته .

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ١٤٩ .

والسلاطين والمعروف أن مصر والشام تعرضت فى عصرى الأيوبيين والمماليك لأخطار حروب داهمة هى الحروب الصليبية وحروب المغول ... (١)

وكان الاهتمام بالحياة الثقافية فى العصر الأيوبى ، له نتائجه المتوقعة ، ومن ذلك تطور حركة التأليف فى ذلك الوقت ، فكثير من الكتاب والأدباء اتخذوا من أقلامهم سلاحاً للرد به على الأعداء ، وقد شجع الأيوبيون التأليف والمؤلفين تشجيعاً كبيراً .

وعن ازدهار الحركة العلمية في مصر على عهد سلاطين المماليك ، يقول أحد الباحثين : " أجل إن هناك أسباباً كثيرة لنهضة العلم وازدهاره فى العصر المملوكي لكن هذه الأسباب مع كثرتها وقوتها لم تكن لتنهض بعبء هذه الحركة العلمية وازدهارها لو لم تكن لدى سلاطين المماليك إرادة فى ذلك ، كما لم يكن هذا العصر عصر تخلف عقلي أو وجداني ، أو انحطاط علمي وأدبي ، وإنما هو على العكس من ذلك ، فقد شهد نشاطاً ثقافياً رائعاً ، ويحسب له أنه كان الوعاء الذى وسع تأليف الموسوعات والمراجع فى مختلف العلوم والفنون " ... (٢)

وكان من أثر الحياة السياسية فى مصر والشام على الثقافة والأدب فى ذلك الوقت أن أصبحت مصر حاضرة دولة إسلامية مترامية الأطراف ، وعقد لها لواء الزعامتين (الدينية والعلمية) ، وكثرت وفود العلماء والطلاب إليها من شتى

---

(١) انظر : د. قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الحروب الصليبية ص ١٥٧ - سلسلة عالم المعرفة - الكويت سنة ١٩٩٠م .

(٢) عبده عبد العزيز قليقلة :" النقد الأدبى فى العصر المملوكى ص ٦ ، ص ١١ . (رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم رقم ٦٧٠ سنة ١٩٧٠م) وانظر أيضاً :

د. حسن ذكرى : أبرز مظاهر الحياة الثقافية والأدبية فى العصر المملوكى " مقالة بمجلة كلية اللغة العربية بالأزهر - العدد ٧ ص ٢٥٨ - ٢٦٠ سنة ١٩٨٩م .

الأمصار الإسلامية ، وقال السيوطي في ذلك : " وصارت مصر محل سكن العلماء ومحط رجال الفضلاء " ... (١)

كما شعر العلماء بأن الواجب يحتم عليهم النهوض بالحياة العلمية ، التى أتى عليها المغول ، وشجعهم على ذلك السلاطين ، وأكرموهم وفتحوا لهم المدارس ، وأغدقوا عليهم الأموال ، كل ذلك لصيانة التراث العربى القديم ... (٢)

وعلى الرغم من أن هؤلاء المماليك كانوا ذوى لسان غير عربى ، ولم تكن لهم ثقافة معينة ، لأنهم أخلاط من أجناس شتى ، ولأنهم من بلاد متفرقة ، إلا أنهم تعلموا اللغة العربية لغة القرآن ، وتفهموا آدابها ، آداب الدين الرسمى للبلاد ، فلم يكن همهم تثقيف المصريين ثقافة معينة ، اللهم إلا محو آثار التشيع الموروث عن الفاطميين من عقولهم ... (٣)

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج٢ ص٦٨- مطبعة إدارة الوطن سنة ١٢٩٩هـ .

(٢) أحمد صادق الجمال : الأدب العامى فى العصر المملوكى ص ٣٦ القاهرة سنة ١٩٦١م .

(٣) وفى هذا الصدد يمكن أن نشير أنه فى ذلك الوقت كانت مصر لا يزال يوجد بها أثر للتشيع فى بداية حكم المماليك ، على الرغم من الجهود التى بذلها صلاح الدين وأولاده لتدعيم المذهب السنى ، حين سقطت الخلافة الفاطمية ، وقد اتبع حكام المماليك سياسة واضحة للقضاء على ذلك حتى خفت آثار التشيع بالبلاد ، ويتضح ذلك حين قام السلطان بيبرس بتحريم أى ذهب عدا المذاهب السنية الأربعة سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م . وقد استمرت المدارس فى العصر المملوكى بمقاومتها للمذهب الشيعى ومحاربته ، والدعوة إلى المذهب السنى فى الأماكن النائية لوجود بعض التأثيرات الشيعية فيها " انظر :

عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ص ١٢٣ ماجستير بكلية الآداب رقم ١٣٨٣ سنة ١٩٧٥ بالقاهرة .

مكانة العلماء فى القرن السابع الهجرى / ١٣ الميلادى :

رأينا فى المقدمة السابقة حالة القرن السابع السياسية ، كما رأينا صورة التفكك السياسى فى ذلك القرن ، فى العالم الإسلامى ، ولكن على الرغم من ذلك الضعف السياسى ، والأحداث السياسية فى ذلك القرن ، فإن ذلك لا يعنى شيئاً بالنسبة لقوة العلم أو ضعفه " فالعلم والسياسة لا يتمشيان جنباً إلى جنب ، حتى إذا ارتقى هذا ارتقى ذلك " ... (١)

وهنا نلاحظ على الحياة العلمية فى القرن السابع ، أنها كانت على درجة كبيرة من التقدم والازدهار ، كما سيتبين ذلك إن شاء الله .

وقد ساعد هذا التقدم العلمى ، العلماء على استعادة مكانتهم فى قيادة دفة الحياة الإسلامية حتى وصلوا بها إلى بر النجاة ، قبل انتهاء ذلك القرن ، فلم تكن مكانتهم وأهميتهم أقل من مكانة الأمراء ، فلئن كان الأمراء هم أصحاب النشاط الحربى والإدارى ، فقد كان العلماء هم أصحاب النفوذ المباشر على العامة ، وبثقة الرأى العام فيهم وتقديره لهم .

والتدليل على هذه المكانة التى تبوأها علماء القرن السابع ، ليس أمراً صعباً، فأعمال هؤلاء العلماء ومواقفهم الإصلاحية لا تكاد تعد ، فقد وقفوا في وجه العدو الغاشم والسلطان الظالم حتى أصبحوا موضع إجلال واحترام من الشعب ومن الحكام ... (٢)

---

(١) أحمد أمين : ظهر الإسلام ج٢ ص ٢ ، ٣ ط ٣ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٤م .

(٢) المصدر السابق : ج٤ ص ٢١٣ .

ومن الأفضل هنا أن نشير إلى بعض الأمثلة لنوضح بعض مواقفهم المشهودة فى ذلك الوقت ، فمثلاً وجدنا الشيخ شمس الدين يوسف سبط أبى الفرج ابن الجوزى ، ينكر غاية الإنكار تسليم الملك الكامل بيت المقدس للإمبراطور فردريك سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٧م ، وكان فى كل مجلس يذكر فضائل بيت المقدس ، ويشنع القول فى تسليمه ... (١)

أما المثال الثانى ، فهو شجاعة العز بن عبد السلام ، ومواقفه القوية فى قول الحق ، فمثلاً عندما حضر بيعة السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، قال له : يا ركن الدين ، أنا أعرفك مملوك البندقدارى وما أعلم هل أعتقت أم لا ، وانصرف ولم يبايعه أحد حتى جاء من شهد له بالخروج عن رق البندقدارى إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وعتقه ... (٢)

ولم يبايع الملك بيبرس واحداً من الخليفتين المستنصر والحاكم العباسيين ، إلا بعد أن تقدمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام للمبايعة ، وهذا يدل على مكانة عز الدين بن عبد السلام فى ذلك الوقت ... (٣)

فأى مكانة هذه التى وصلها سلطان العلماء ، حتى غلب سلطان الحكام وحتى يقول الظاهر بيبرس نفسه - وهو أعظم سلاطين المماليك - معترفاً بهذا يوم مرت جنازة العز من تحت القلعة " اليوم استقر أمرى فى الملك ، لأن هذا الرجل ، لو كان يقول للناس اخرجوا عليه ، لا نتزعوا الملك منى " ... (٤)

---

(١) المختصر فى أخبار البشر ج٣ ص ١٤١ ، ١٤٢ ط ١ المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٥هـ . والمقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٢٣٣ .

(٢) الداودى : طبقات المفسرين ج ١ ص ٣١٣ تحقيق على محمد عمر - الطبعة الأولى - مكتبة وهبة سنة ١٩٧٢م .

(٣) المصدر السابق : ج ١ ص ٣١٦ .

(٤) د. عبد الأعلى مهدى محمد الطحاوى : عز الدين بن عبد السلام ومدرسته السياسية - ماجستير بدار العلوم ص ١١٣ رقم ٣٤١ إشراف د. محمد حلمى محمد أحمد - القاهرة سنة ١٩٨١م .

دور سلاطين بنى ايوب والمماليك فى الحياة الثقافية فى القرن السابع

كان لكل من سلاطين بنى أيوب ، وسلاطين المماليك ، دور كبير فى النهوض بالحياة العلمية فى القرن السابع ، وذلك بإقامة المنشآت اللازمة لذلك من مدارس ، وجوامع ، ومكتبات ، وغير ذلك ، ثم توفير الأوقاف التى تقوم بنفقات تلك المنشآت . ويمكن القول إن دور الحكام فى إنهاض العلم في مصر والشام ، هو أشهر وأبرز ما كان من دور لحكام القرن السابع فى الحياة الثقافية ، فقد كانت مصر والشام قبل القرن السابع تحت حكم الفاطميين الشيعة ، ثم جاء من بعدهم ، الأيوبيون الذين حكموا حتى عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م .

" والأيوبيون سنيون ، عملوا على نشر المذهب السنى ، والقضاء على المذهب الشيعى ، وكان من أفضل وسائلهم فى هذا إنشاء المدارس بكثرة والتى تعتنق المذهب السنى ، وقد صارت هذه المدارس مراكز لحياة علمية نشيطة فى هذا العصر ، فتمكنت من تحقيق أهدافها فى وقت قصير " ... (١)

وقد تنافس أمراء البيت الأيوبى ، وكبار موظفى الدولة من الأيوبيين وغير ذلك من الشخصيات الأيوبية على إنشاء المدارس ، ورعاية العلم قربا وتقوى لله عز وجل سبحانه ، مشبعة بحماسة معمارية عالية ... (٢)

---

(١) عبد الوهاب حمودة : صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ص ٩٨ طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥م .

(٢) د. محمد مصطفى ومجموعة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية – العصر الإسلامى ق ٢ ص ٤٧٨ طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى .

ونتيجة لنهوض الحكام بالحياة العلمية فى ذلك القرن ، فإنه ليس من المعقول أن يكون هؤلاء الحكام بعيدين عنها ، بل علا بعضهم درجاتها وتربع على عرشها ، وقد اختلفت اهتماماتهم العلمية من بين فقه أو حديث أو تاريخ أو غير ذلك ، وينبغى ألا نربط بين مكانتهم العلمية ، وأعمالهم السياسية ، فربما برع بعضهم فى العلم ، وأخطأ فى بعض سياساته ، فليس بين الأمرين ارتباط .

فقد اشتهر سلاطن الأيوبيين بحبهم للعلم والعلماء ، منذ صلاح الدين الأيوبى حتى آخر سلاطين الأيوبيين ، ومثال ذلك السلطان العادل أبو بكر بن أيوب، وهو أخو السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبى كان شديد الحب للعلماء ... (١)

كما كان الملك العادل معنياً بأرباب السنة ، وكان الكامل ابنه يحب العلماء ، ويلقى عليهم المشكلات ، وكان محباً للحديث وأهله حريصاً على حفظه ونقله ، وللعلم عنده شرف ... (٢)

أما السلطان الكامل ، فقد كان معظماً للسنة النبوية وأهلها ، راغباً فى نشرها والتمسك بها ، مؤثراً الاجتماع مع العلماء ، والكلام معهم حضرا وسفرا ، وكان يحب أهل العلم ويؤثر مجالسهم ، وشغف بسماع الحديث النبوى ... (٣)

ثم جاء دور المماليك فى الحكم من بعد الأيوبيين سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م فازدهرت الحياة العلمية فى عصرهم ازدهاراً واسعاً ، حيث هرع العلماء من المشرق والمغرب ، إلى ظلهم بمصر ، ويرجع السبب فى ذلك إلى ما أصاب العالم

---

(١) المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ١٩٤ ط ١٩٧٠م .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ١٦٣ دار الكتب المصرية ١٩٣٨م .

(٣) المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ط سنة ١٩٣٤م .

الإسلامى فى المشرق على أيدى التتار ، فضلاً عما أصاب بلاد الشام من أضرار على أيدى الصليبيين والمغول جميعاً ، فلم يجد هؤلاء العلماء ملجأ يأوون إليه أفضل من مصر ، التى أصبحت فى هذا العصر ، الرمز الروحى للمسلمين بإحيائها للخلافة العباسية ... (١)

وقد استقبلت مصر هؤلاء العلماء استقبال من أحس بمسئوليته أمام الله عن دينه ، وأمام التاريخ عن النهوض بالحياة العلمية ، فدفعهم شعورهم العميق بهذه المسئولية إلى الجد فى العمل لتعويض ما فات ، وبذل الجهد لإعادة هذا الصرح المنهار ... (٢)

واتبع المماليك سياسة الأيوبيين ، فى الاهتمام بالعلم والأدب ، حتى إن الدرجة التى وصل إليها هذا النشاط الثقافى والعلمى فى العصر المملوكى ، ربما زادت عن النشاط العلمى زمن الأيوبيين ، ولذلك وجدنا الحكام المماليك ، يندفعون فى نهضة علمية وعمرانية ، تزيد فى منشآتها على ما كان زمن بنى أيوب ، الذين كانوا أساتذتهم وقدوتهم ، فكانت النتيجة منشآت معمارية رائعة تخلد ذكرهم حتى يومنا هذا ... (٣)

---

(١) د. محمد مصطفى ونخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية – العصر اليونانى والرومانى والإسلامى ق ٢ ص ٤٩٠ طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى / المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر – مكتبة مصر بالفجالة .

(٢) د. محمد حلمى محمد أحمد : مصر والشام والصليبيون ص ٢٣٦ .

(٣) وكان الهدف من وراء العناية بالمنشآت حسن السياسة واجتذاب القلوب .

المنشآت التعليمية فى القرن ٧هـ/ ١٣م

والمقصود بالمنشآت التعليمية هنا ، المدارس والمكتبات والمنشآت العلمية الأخرى ، فقد اشتهر سلاطين بنى أيوب ، ومن بعدهم سلاطين المماليك ، بالاهتمام ببناء المدارس والمكتبات ، وقد نهج سلاطين بنى أيوب نهج صلاح الدين الأيوبى فى بناء المدارس ... (١)

ويمكن القول إن المدارس فى ذلك العصر كانت أشبه بالجامعات فى الوقت الحاضر ، فهى معاهد للتعليم العالى ، ولكل مدرسة مذهبها الذى تتبعه ، وإن كان بعضها يشمل أربع فروع للمذاهب الأربعة .

" وإذا كان المفروض فى المدرسة أن تكون مركزاً للعلوم الدينية من فقه وحديث وتفسير وغيرها ، فإن الوضع لم يلبث أن تطور ، حتى غدت المدارس ، مراكز لتدريس النحو والفلسفة ، والعلوم الطبيعية فضلاً عن العلوم الدينية " ... (٢)

وكان الاهتمام بإنشاء المؤسسات التعليمية فى العصرين الأيوبى والمملوكى، من مدارس ومكتبات وغير ذلك يعتبر مظهراً يعبر عن ازدهار الحركة العلمية فى هذين العصرين .

وقد كان يخصص لكل مدرسة من هذه المدارس المدرسون ، كما كانت تلحق بها خزانة كتب كبيرة .

---

(١) د. أحمد شلبى : موسوعة الحضارة الإسلامية – التربية والتعليم ج ٥ ص ١٢٠ هوامش ط ٨ سنة ١٩٨٧م .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، سعيد عاشور : مصر فى العصور الوسطى ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

وقد تخصصت بعض المدارس فى القرن السابع الهجرى فى دراسة الحديث النبوى ، ومن هذه المدارس دار الحديث بالقاهرة والتى عرفت باسم " الكاملية " وأنشأها السلطان الكامل محمد ابن الملك العادل سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٣م وهى ثانى دار عملت للحديث ... (١)

كما كانت توجد أيضاً " دار الحديث الأشرفية " وهذه الدار بناها الملك الأشرف موسى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣١م ، ووقف عليها الأوقاف ، وهى مجاورة لقلعة دمشق ... (٢)

وكان السلطان الكامل يناظر العلماء ، وعنده مسائل غريبة فى الفقه والنحو يمتحن بها ، فمن أجاب عنها قدمه وحظى عنده ، كما أنه كان يميل إلى فن الأدب، ويطارح الشعراء ، ويبدو من ذلك كله أن السلطان الكامل كان من أكثر سلاطين بنى أيوب حباً للعلم وأهله ... (٣)

ولا يخفى علينا أن المدارس كانت تدرس فيها العلوم الدينية ، ولذلك قصد

---

(١) من المعروف أنه كانت توجد هناك دار للحديث قبل ذلك بناها الملك العادل نور الدين ، وأتمها الملك المعظم ونسبها لوالده الملك العادل سيف الدين الذى كان قد أخذ فى إتمامها فأطلق عليها " العادلية الكبرى " وتقع شمالى جامع دمشق انظر :

الذهبى : دول الإسلام ج ١ ص ٢٠٣ .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ٦ ص ٢٨٠ .

(٣) المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ط سنة ١٩٣٤م ، وعن السلطان الكامل واهتمامه بالتعليم انظر :

عبد الغنى محمود عبد العاطى : التعليم فى زمن الأيوبيين والمماليك ص ٦٠ – ٦٢ ، ماجستير بآداب القاهرة سنة ١٩٧٥م رقم ١٣٨٣ .

السلاطين بتأسيسها التقرب إلى الله وكسب الثواب ، فبعد أن بنى السلطان الكامل مدرسته السابقة ، قام السلطان الصالح نجم الدين أيوب ببناء مدرسته ، والتى تعرف باسم " المدرسة الصالحية " سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م ورتب فيها دروساً لفقهاء المذاهب الأربعة ... (١)

وفى عصر المماليك (فى القرن السابع الهجرى) أنشأ الظاهر بيبرس " المدرسة الظاهرية " سنة ٦٦٢هـ ١٢٦٣م ، وقد تخصصت هذه المدرسة فى دراسة مذهبين فقهيين ، الفقه الشافعى ، والفقه الحنفى ، وكانت بها مكتبة ضخمة ، ومكتب للأيتام ، وعليها أوقافا ... (٢)

وكان على رأس المؤسسات التعليمية والتثقيفية في ذلك الوقت ، الأزهر

---

(١) على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١ ص ٧٧ ط القاهرة سنة ١٩٨٠م طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٦٩م .

والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٧٤ ، والسلوك ج ١ ق ٢ ص ٣٠٨ ، ٣٣٩ ، ٣٧٣ ومحمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ص ٨٠ - ٨٥ سلسلة كتب ثقافية.

(٢) المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ .

" وكان من أسباب الاهتمام بهذين المذهبين (الشافعى والحنفى) أنه بزاول الدولة الفاطمية زال كذلك مذهبها الشيعى ، فعادت مصر إلى مذهبها القديم ، وهو مذهب أهل السنة وازداد تعلقها يومئذ بالمذهب الشافعى ، وهو الذى اعتنقه نور الدين محمود بالشام وكذلك اعتنقه السلطان صلاح الدين الأيوبى وأولاده بمصر ، وأتى المماليك فتبعوا بنى أيوب في ذلك وبقى الحال على هذا زمناً طويلاً " ... انظر :

د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول ص ١٩٩ ط دار الفكر العربى .

الشريف " ... (١) الذى أعيد إليه النشاط التعليمى فى عهد الظاهر بيبرس بعد أن أوقف هذا النشاط حوالى مائة سنة ... (٢)

ويصور المقريزى الحياة العلمية فى الجامع الأزهر فى هذا العصر فيقول ، لم يزل هذا الجامع منذ بنى يجاور به طائفة من الناس ما بين عجم ومغاربة ، ومن يرد من أرض الريف إلى القاهرة من طلبة العلم .

وكان لكل طائفة رواق يختص بهم ، فلا يبرح عامراً بتلاوة القرآن الكريم ودراسته وتعليمه والاشتغال بأنواع العلوم كالفقه ، والنحو ، وسماع الحديث ، وعقد المجالس للوعظ ، ويبلغ مجاوروه سبعمائة وخمسين رجلاً ... (٣)

وقد اهتم المماليك بالجامع الأزهر ، بعد أن كان الأيوبيون قد أبطلوا الدراسة والعبادة فيه حوالى مائة سنة ، فعاد على عهد المماليك عامراً بتلاوة القرآن الكريم ودراسته وتلقينه ، وأعاد له المماليك أوقافه بل زادوا عليها ما يكفى هذه النهضة العلمية التى استجدت فيه ... (٤)

---

(١) الأزهر الشريف : أول جامع أنشئ بمدينة القاهرة ، انتهى جوهر الصقلى من بنائه سنة ٣٦١هـ / ٩٧٢م . وهو أقدم جامعة إسلامية ، وأقيمت صلاة الجمعة لأول مرة فيه فى السادس من رمضان سنة ٣٦١هـ / الواحد والعشرين من يوليو سنة ٩٧٢م انظر :
ابن إياس : بدائع الزهور ج١ ق١ ص ٣٤٠ - ٣٤٢ .
د. عبد الرحمن زكى : موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام ص ١١ سنة ١٩٦٩م بالقاهرة.

(٢) محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر ص ١١٣ ط ٢ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة سنة ١٩٥٨م .

(٣) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٢٧٦ ط دار مؤسسة الحلبى بالقاهرة .

(٤) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ط ٤ دار المعارف - بالقاهرة سنة ١٩٧١م .

ومن الملاحظ أن عناية سلاطين المماليك ، عناية خاصة بالجامع الأزهر الشريف ، إنما كانت تقديراً لمهمته العلمية الكبيرة ، وشاركهم فى ذلك الأمراء والكبراء ، فكانت الهبات تتوالى على الجامع وطلبته من جانب هؤلاد وهؤلاء .

وتابع الملك السعيد بركة (٦٦٢ - ٦٧٨هـ / ١٢٦٤ - ١٢٧٩م) سياسة أبيه الظاهر بيبرس فى بناء المدارس ، فبنى مدرسة أخرى أيضاً لتدريس الفقه الحنفى والفقه الشافعى ... (١)

ومن أشهر المدارس فى العصر المملوكى فى القرن السابع الهجرى ، المدرسة المنصورية ، وهى تشبه الجامعة فى الوقت الحاضر ، أنشأها السلطان الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى المتوفى سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م بخط بين القصرين من القاهرة ، ورتب بها دروساً أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة ، ودرساً للطب ... (٢)

كما أنشأ المنصور قلاوون قبة تجاه هذه المدرسة ، ورتب بها درساً للحديث النبوى ، ودرساً لتفسير القرآن ، وكانت هذه الدروس لا يقوم بتدريسها إلا أجل الفقهاء المعتبرين ، كما كانت بهذه القبة خزانة كتب جليلة ، فيها عدة أحمال من

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج٧ ص ٢٦٣ / والمقريزى : السلوك ج١ ق٢ ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ .

(٢) وكان ذلك فى سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م انظر :
المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤٠٦ بولاق سنة ١٢٧٠م .
وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، وزكى محمد حسن : فنون الإسلام ص ٧٩ القاهرة سنة ١٩٤٨م .

الكتب ، فى أنواع العلوم المختلفة مما وقفه الملك المنصور وغيره ، كما أنشأ المارستان للدراسة العملية للطب ... (١)

وتابع السلطان الناصر محمد بن قلاوون سياسة أبيه فى إنشاء المدارس ، فبنى المدرسة الناصرية ، سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م وتقع بشارع المعز لدين الله الفاطمى، وأنشئت على جزء من أرض القصر الصغير الفاطمى ، بدأ فى إنشائها السلطان العادل كتبغا ، وخلع من الحكم قبل أن يتمها ، فلما عاد الناصر محمد للعرش للمرة الثانية ، اشترى هذه المدرسة وأتمها ... (٢)

ولم يترك سلاطين القرن السابع هذه المدارس التى بنوها دون عناية منهم بل على العكس من ذلك ازداد اهتمامهم بهذه المدارس ، وفى هذا يقول المؤرخ النويرى : " وعينوا لتلك المدارس المدرسين والمعيدين والموظفين ، ووقفوا عليها الأوقاف الغنية لتضمن للطلاب والمدرسين قدراً من الحياة الهادئة تجعلهم ينصرفون إلى الاشتغال بالعلم ، آمنين مطمئنين " ... (٣)

ومن الملاحظ أنه لم يقتصر دور سلاطين المماليك على إنشاء المدارس الجديدة فقط ، بل عملوا على إحياء ما كان قد بلى دوره فمثلاً ، وجدنا الملك المنصور لاجين فى سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٧م يولى جامع بن طولون اهتمامه ، ويرتب

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٨٠ .

(٢) ابن دقماق : الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك والسلاطين ص ٣٦٥ تحقيق د. سعيد عاشور ، مراجعة د. السيد أحمد دراج ، سلسلة من التراث الإسلامى ، نشر : المملكة العربية السعودية .

والمقريزى : الخطط ج ٢ ص ٤٠٦ .

(٣) النويرى : نهاية الأرب ج ٣٠ ص ٣٤١ .

فيه دروساً لإبقاء الفقه على المذاهب الأربعة ، ودروساً لتفسير القرآن الكريم ، ودروساً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ودرساً للطب ، وعمل بجواره مكتباً لإقراء الأيتام من المسلمين كتاب الله عز وجل ... (١)

ونلاحظ كثرة المكتبات العامة والخاصة في القرن السابع ، فقد ظهر تقدير سلاطين بني أيوب للعلم في عنايتهم بالمكتبات ، وأهمها المكتبة التي عني بها السلطان الكامل بالقلعة ، وكانت في الأصل تؤلف مكتبة القاضي الفاضل ثم آلت إلى ابنه الأشرف أحمد ، حتى أمر السلطان الكامل بوضع اليد عليها ، ونقلها إلى القلعة ، لتصبح نواة مكتبة كبرى ، ضمت ثمانية وستين ألف مجلد ، وقد تم نقلها إلى القلعة سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م ... (٢)

وكانت أكثر المدارس التي ذكرناها سابقاً ، تتبع بخزانة كتب ، توجد فيها الكتب الثمينة النافعة في شتى العلوم والفنون ، والارتباط بين نهضة العلم في بلد ما وانتشار المكتبات فيه أمر بدهي ، فالكتاب هو أهم عناصر العملية التعليمية .

وقد امتازت بعض المكتبات العامة في ذلك العصر بأنها يتولى أمورها علماء ممتازون ، يشترط فيهم سعة الاطلاع ، والمعرفة بشئون الكتب ، وكانت لهذه المكتبات فهارس منظمة ، وأطلقت حرية الاطلاع داخلها مع إمداد المطلعين بالأوراق والأقلام التي تشترى من ريع الوقف المحبوس عليها ، أو على المدرسة التابعة لها .

أما استعارة الكتب فقد كانت مباحة ، ولكن بشروط وضمانات صيانة

---

(١) المقريزي : الخطط ج ٢ ص ٢٦٨ .

(٢) عبد الرحمن الرافعي ، سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

للكتب، وخوفاً عليها من الضياع ، ومن أجل تنظيم العمل وحسن سيره ، وكان بهذه المكتبات المترجمون والنساخ ، كما اهتم المشرفون عليها بتجليد الكتب للحفاظ عليها وصيانتها ... (١)

وكان من نتيجة ازدهار الحياة العلمية فى ذلك القرن ، اشتغال بعض حكام القرن السابع بالعلم ، وذلك مثل الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل المتوفى سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٥م الذى حفظ القرآن واشتغل بالحديث ، وبرع فى المذهب الحنفى، وصار حنفياً متعصباً لمذهبه .

وكان يناظر العلماء ويبحث ، وقد ناظر مرة جماعة من الفقهاء كان من بينهم عز الدين بن عبد السلام ، وقد برع فى النحو واللغة والأدب ، وكان عالم بنى أيوب الأول ... (٢)

وخلاصة القول إنه قد وجد تنافس بين السلاطين والأمراء فى القرن السابع، على إقامة المؤسسات التعليمية والتثقيفية ، وإيقاف الأوقاف الضخمة عليها ، والاهتمام بتعيين المدرسين من خيرة العلماء والفقهاء .

---

(١) عبد الوهاب حمودة : صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى ص ٤٤ ، ١٠٢طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة سنة ١٩٦٥م .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ص ٢٦٨ .

- والذهبى : دول الإسلام ص ١٣١ تحقيق : فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم - دار الكتب المصرية وأبو الفدا : المختصر ج ٣ ص ١٣٨ .

النظام التعليمي في القرن ٧هـ/ ١٣م

المقصود بالنظام التعليمي هنا ، هو كيفية الدراسة فى المؤسسات التعليمية فى القرن السابع ، والعلوم التى تدرس وطريقة التدريس والقائمون به ومؤهلاتهم العلمية ، وهذا ما سنوضحه فى الصفحات التالية .

وفى هذا الصدد يمكننا أن نقول إن نظام التعليم في القرن السابع ، كان يبدأ بالقرآن الكريم أولاً ، حيث كان يوجه المتعلم فى طفولته إلى المكتب ، فيلقن القرآن وربما درس قراءاته ، ويتعلم شيئاً من الحديث ، والقراءة والكتابة فى دراسة الشعر والأدب ، الذى كان يعتبر من المواد المساعدة فى هذه المرحلة ، وغير ذلك من المواد الأولية .

وكان القرآن الكريم يعلم تلقيناً ، صيانة له عن التحريف والتصحيف ، وكانت المساجد أيضاً تقوم بدور المكاتب فى تعليم القرآن لهؤلاء الصبيان ، وكانت بعض المكاتب تقام خصيصاً لأبناء الفقراء ، أو الأيتام كعمل من أعمال البر ، التى أكثر الناس منها فى ذلك العهد ، وكان التعليم بهذه المكاتب ، يعتبر مؤهلاً للالتحاق بالمدارس ، التى كانت تعد بمثابة المعاهد العليا أو الجامعات ... (١)

ومن الملاحظ أن هذه المدارس التى قام ببنائها سلاطين بنى أيوب وسلاطين المماليك كانت مفتحة أبوابها ، وكان المدرسون موجودين بها ، ويأتى إليهم الجاهل والعالم ، ويلازمهم طالب العلم فى كل مكان ، ولم تكن هناك نفقة بل كان المشايخ

---

(١) محود شاكر : التاريخ الإسلامى ق٢ ج٧ ص ٢١ وانظر أيضاً :
د. محمود محمد الحويرى : الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام في القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد ص ١٤ - ١٦ - طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٩م .

والطلاب يجدون من ألوان البر ، ما يعينهم على طلب العلم وحبه والاستمرار فيه وكانت طرق العلم ميسرة ، فالمدارس روعى فى تصميمها الوفاء بالأغراض التعليمية ، فضلاً عن خزانات الكتب ، التى كانت توجد فى كل مدرسة ، ويستفيد منها المشايخ والطلاب .

وكان يقوم بالتدريس فى هذه المدارس ، مدرسون يختارون من مشايخ علماء العصر ، وأوسعهم علماً ، وأبعدهم صيتاً ، لأنه على أساس شهرتهم ومكانتهم ، كانت تتحدد مكانة كل مدرسة وأهميتها ، وقد كان المدرسون على مراتب ، يعين كبيرهم صغيرهم ، يأخذ بيده ويقوده إلى أن يغدو من العلماء الكبار ، فهناك الشيوخ ، وهم بمثابة الأساتذة فى الوقت الحاضر ، وهناك المدرسون ثم المعيدون ... (١)

أما مواد الدراسة التى كانت تدرس فى ذلك العصر ، فنجد أنه قد كانت هناك أصول مثل : الفقه والحديث والتفسير والقراءات والمنطق والحساب ... الخ ، كما كانت هناك مواد مساعدة مثل : النحو والبلاغة والهندسة والفلك وغيرها ، ولكن كانت المواد التى تدرس تختلف من مدرسة إلى أخرى وذلك بسبب اختلاف أعمار الطلاب من جهة ، والاختلاف فى المذاهب من جهة أخرى .

ونأتى بعد ذلك للحديث عن نظام التأليف فى القرن السابع ، ونلاحظ هنا أن العلماء فى القرن السابع كانوا يجمعون أنواعاً مختلفة من الثقافة والمعرفة ، ولا يتخصصون فى فن بعينه ، حتى وإن وجد التخصص ، وهذا يتبين من كتب التراجم المختلفة .

---

(١) د. سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ص ١٥٢ ط ٢ دار النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٧٦م .

كما أن تنوع معارف العلماء وتعدد مجالات الاهتمام بالعلوم ، كان سمة عامة عند كثير من علماء المسلمين عبر قرون طويلة ، وقد امتدت هذه السمة إلى هذا العصر ، بل استمرت بعده كذلك ، ومن العلماء الذين تنوعت مجالاتهم العلمية في هذا القرن ، العلامة كمال الدين موسى بن يونس بن منعة المتوفى سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤٠م وهو إمام وقته فى مذهب الشافعى .

وكان متقناً علم المنطق ، وكان إماماً مبرزاً فى العلم الرياضى ، وكان أهل الذمة يقرءون عليه التوراة والإنجيل ، وشرح لهم هذين الكتابين شرحاً ، وكان إماماً فى العربية والتفسير والحديث ... (١)

وهناك أيضاً المؤرخ الكبير ابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م وهو جمال الدين محمد بن سالم بن واصل قاضى قضاة الشافعية بحماة ، كان فاضلاً إماماً مبرزاً فى علوم كثيرة ، مثل المنطق والهندسة وأصول الدين والفقه والجغرافية والتاريخ ، وهو صاحب الكتاب التاريخى المشهور " مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب " ... (٢)

وهنا نلاحظ كيف كان علماء القرن السابع ، أصحاب اتجاه موسوعى فى التأليف فى مختلف العلوم وقد نتج عن هذا ظاهرتان علميتان عظيمتان .

– **الأولى** : كثرة الثروة العلمية التي وصلتنا من ذلك العصر بالذات ، وما زالت دور الكتب فى جميع أنحاء العالم ، مشحونة بمئات المخطوطات ، التى تناولت معظم ألوان المعرفة ، التى تفى بحاجة العقل ، من العلوم الدينية والكونية ، وإذا أضفنا إلى هذه المخطوطات ، النسبة القليلة التى طبعت من تراث ذلك العصر والكتب التى فقدت ولم نعرف عنها سوى أسمائها وأسماء مؤلفيها ، أدركنا أن

---

(١) أبو الفدا : المختصر ج٣ ص ١٧٠ ، وأبو شامة : المزيل ص ١٧٢ ط٢ سنة ١٩٧٤م .

(٢) أبو الفدا : المختصر ج٤ ص ٣٨ .

القرن السابع قد شهد نشاطاً علمياً فائقاً ... (١)

- **الثانية** : طرق التأليف التى تجلت فيها محاولة إعادة جمع وتدوين ما فقد من كتب التراث الإسلامى ، فى حوادث التتار والصليبيين ، فكان الإقبال الشديد على تأليف الموسوعات الضخمة ، التى تحوى الموسوعية الواحدة منها كثيراً من المعلومات المتنوعة المتباينة ، وقد ساعدهم على مثل هذه التأليف ، ما كانوا عليه من غزارة العلوم ، وأن ظروف العصر كانت تقتضى ظهور مثل هذه المؤلفات الجامعة ... (٢)

وقد تنوعت المؤلفات فى القرن السابع الهجرى ، وتباين العلماء فى التأليف وظهرت كتب التاريخ العام العالمى كثيراً فى هذا العصر ، وكانت تشبه الموسوعات، وذلك مثل كتاب الدول وكتاب المبدأ والمآل لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، وتاريخ ابن نظيف المتوفى بعد سنة ٦٣١هـ والذى سماه الكشف والبيان فى حوادث الزمان .

وتاريخ القفطى سنة ٦٤٦هـ ، وكتاب المختار من عيون التواريخ لابن أبى أصيبعة سنة ٦٦٨هـ ، وكذلك كتابيه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ومعالم الأمم وأخبار ذوى الحكم ، وكتاب مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤هـ ، والتاريخ المظفرى لابن أبى الدم المتوفي سنة ٦٤٢هـ ، وكتاب حوادث الزمان لابن أبى طى المتوفى سنة ٦٣٠هـ ... (٣)

---

(١) على محمد الفقير : العز بن عبد السلام وأثره فى الفقه الإسلامى - رسالة دكتوراه بكلية الشريعة والقانون بالأزهر ج١ ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ .

(٢) المصدر السابق : ج١ ص ٣٥ .

(٣) عن تأليف الموسوعات والحركة الثقافية فى القرن السابع الهجرى انظر :

- أحمد أمين : ظهر الإسلام ج٤ ص ١٩٥ ، ١٩٦ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٤م .

- د. عبد المتعال الصعيدى : المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر ص ٢٤٤ طبعة مكتبة الشباب بالجماميز بالقاهرة .

ازدهار حركة التأليف فى القرن السابع الهجرى

المقصود بازدهار حركة التأليف فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى هنا ، هو تعدد المؤلفات فى العلوم المختلفة ، من أدب وشعر وعلوم ولغة وفقه وتاريخ ، وقد شجع كل من سلاطين الأيوبيين والمماليك ، فى القرن السابع التأليف والمؤلفين تشجيعاً كبيراً ، وكانت نتيجة ذلك ازدهار فى العلوم المختلفة فى ذلك الوقت .

ويتضح من ذلك أنه فى فترات الصراع ، وعقب التعارك تنشأ أقلام المفكرين وتتحفز هممهم لتسجيل وقائع هذه المعارك وسيرها وتطوراتها المختلفة ، ووصف ما سبقها من استعداد ، وما تلاها من نصر أو هزيمة ، ثم بعد ذلك تحليل الدوافع والنتائج والإشادة بقوادها وأبطالها والترجمة للذين استشهدوا خلال هذه المعارك ، مما يخلق جواً من الحيوية الفكرية ويهيئ مجالاً فسيحاً للكتابة أمام المفكرين والمؤرخين .

وهذا بالإضافة إلى أن بعض السلاطين كانوا يهتمون بالدراسات التاريخية بصفة خاصة ، ويقربون إلى مجالسهم المؤرخين ، ومن ثم انطلق المؤرخون وتنافسوا فى الكتابة التاريخية ، وتسجيل التراجم الشخصية ، التى يسجلون فيها شخصيات السلاطين والأمراء ... (١)

وكانوا يسجلون أيضاً مفاخرهم وآثارهم ، وما قاموا به من إصلاحات وبناء أو نقدهم وذكر مظالمهم ، وبهذا نال المؤرخون مكانة عظيمة فى المجتمع المصرى

---

(١) د. محمد محمد عامر : المماليك المصريون الذين لمعوا فى مجال الفكر – رسالة دكتوراه ص ٢٥٠ ، ٢٥١ بدار العلوم وآداب القاهرة تحت رقم ١٧٨ .

في عصر المماليك ، مما شجع أجيالاً من المثقفين على أن تحزوا حزوهم فى هذا ليحققوا لأنفسهم مكانة أعظم وحياة أخلد .

ولنضرب هنا أمثلة لكل علم من هذه العلوم المختلفة فى هذا القرن على حده.

فى مجال العلوم الدينية :

والمقصود بالعلوم الدينية هنا : الحديث والتفسير والفقه ، وهنا نلاحظ أنه فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، كان النشاط التعليمى عامة مرتبطاً بالنشاط الدينى ، ولا يمكن فصله ، لأن التعليم كان مرتبطاً إلى حد كبير بالعلوم الدينية من : حديث وتفسير وفقه وغيره من العلوم الدينية ، وتلك سمة من سمات الحضارة الإسلامية والعلوم الإسلامية منذ نشأتها .

وكان النشاط الدينى فى عصر بيبرس ومن جاء بعده عظيماً ، واسع الأفق ، بعيد المدى ، ولذلك لا يمكن تفسير هذه الظاهرة إلا فى ضوء الرغبة فى ظهور السلاطين فى صورة حماة الإسلام وأنصاره ، وبذلك يكسبون حكمهم صبغة الشرعية فى نظر المعاصرين من ناحية ، ويعوضون ما أحسوا به من نقص بسبب أصلهم غير الحر من ناحية أخرى .

هذا فضلاً عن رغبة السلاطين المماليك فى استئناف سياسة الأيوبيين الخاصة باقتلاع جذور المذهب الشيعى من أرض مصر ، والقضاء على ما تبقى من رواسب شيعية من العصر الفاطمى .... (١)

ويتضح ذلك تماماً عند قيام الظاهر بيبرس بتحريم أى مذهب عدا المذاهب السنية الأربعة ، وذلك سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م ، كما كانت مصلحة سلاطين

---

(١) د. سعيد عاشور : الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره ص ١٤٧ ط القاهرة سنة ١٩٣٨م

المماليك السياسية ، تقتضيهم الظهور بمظهر حماة الدين الإسلامى ، فنحوا نحواً دينياً فى معظم تصرفاتهم ، فأقاموا الشعائر وقربوا علماء الدين ورفعوا منزلتهم ، وأنشأوا المساجد ودور التعليم ... (١)

فى مجال التاريخ :

وقد شهد العصر الأيوبى نشاطاً كبيراً فى مجال التاريخ ، حيث اتجه بعض المؤرخين نحو كتابة الموسوعات فى تاريخ الدولة الإسلامية .

واتجه آخرون نحو شرح تراجم العظماء ، وتدوين مآثرهم ، فى حين عنى القسم الكبر من المؤرخين بذكر أحداث الصراع بين المسلمين والصليبيين ، ومن مؤرخى ذلك العصر الملك المعظم عيسى المتوفى سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م ، وبهاء الدين ابن شداد صاحب سيرة صلاح الدين المعروفة بالنوادر السلطانية وقد توفى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م ... (٢)

وكان من المؤرخين فى ذلك العصر ابن ظافر الأزدى صاحب كتاب الدول المنقطعة ، والتوفى شنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ، وجمال الدين القفطى المتوفى سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م هذا بالإضافة إلى ابن عساكر الدمشقى ... (٣)

وكان أبو شامة أيضاً من كبار مؤرخى ذلك العصر ، وصاحب كتاب

---

(١) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ج٢ ق ١٠ ص ١٥٢ ط القاهرة سنة ١٩٤٦م.

(٢) عبد الرحمن الرافعى / سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ط القاهرة سنة ١٩٩٢م .

(٣) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص ٢٥٦ طبعة ٣ - دار العلم للملايين .

" الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية " والمتوفى سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٨م ، وابن شاهنشاه الأيوبى المتوفى سنة ٦١٧هـ / ١٢١٨م وهو صاحب كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق ، وياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، وهو صاحب معجم الأدباء ، وابن أبى طى المتوفى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣م صاحب كتاب حوادث الزمان ، وابن أبى الدم المتوفى سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٥م صاحب كتاب التاريخ المظفرى ... (١)

أما فى العصر المملوكى ، فتشهد المؤلفات الضخمة التى ذخر بها عصر المماليك خلال القرن السابع الهجرى فى مصر والشام ، وخاصة فى فن التاريخ بتقدم كبير فى فن كتابة التاريخ الإسلامى وكثرة المؤلفات فيه وتنوع مجالاته .

ومعنى ذلك أن البيئة الثقافية كانت مهيأة فى ذلك الوقت ، لظهور عدد غير قليل من المؤرخين والمهتمين بالكتابة التاريخية والتعليمية ، وقد اتجه نتيجة ذلك كثير من المصريين إلى الدرس والتحصيل للعلوم والمعارف المتنوعة والرائجة ، فى المجتمع المصرى خلال القرن السابع .

فى مجال علوم اللغة :

ويقصد بعلوم اللغة : النحو والصرف والمعانى والبيان والعروض ، وقد نضج من هذه العلوم فى العصر الأيوبى وفى القرن السابع ، ما لم ينضج فى العصور السابقة ، وقد وضعت أهم كتب النحو والصرف والبيان التى كان عليها معول

(١) المصدر السابق : نفس الصفحة ، هذا وسوف أتناول الحديث عن هؤلاء المؤرخين فى هذا البحث إن شاء الله فى الصفحات التالية .

العلمـاء فى نشـر العلوم وأسـاس مـا ألفـه علمـاء اللغـة فى تلك العلوم فى سـائر العصور الإسلامية ومثال ذلك : كافية ابن الحاجب وتصريف العزى للزنجانى فى الصرف ، وفيه نضج علم المقامات بمقامات الحريرى ، وعلم اللغة بظهور القواميس التى ظهرت فيه مثل أساس البلاغة للزمخشرى ... (١)

وقد اهتم العلماء فى العصر المملوكى اهتماماً كبيراً بعلوم اللغة العربية ، لأنها الأداة لفهم الدين وتوضيح مسائله ، ولما كان الانصراف فى هذا العصر إلى العناية بإحياء علوم الدين ، وجد بعض العلماء غلبة عليه الاشتغال باللغة وفنونها لرغبة فيها وولوع بها ، ومن هنا كان الاهتمام بعلوم اللغة ... (٢)

وقد حظيت علوم النحو والصرف بالعناية الكبرى ، على الرغم من أن النحاة فى هذا العصر لم يكونوا مبدعين ، أو أصحاب شئ من التجديد ، ولكنهم صرفوا قصارى جهدهم فى توضيح مسائل النحو والصرف وتوجيه قواعده .

فى مجال الأدب :

وفى هذا الصدد يمكننا أن نقول إنه فى العصر الأيوبى والمملوكى استمرت العناية بالكتاب ، فاهتم بهم السلاطين اهتماماً كبيراً ، لأنهم سند الدولة والمدافعين عنها فى السلم والحرب ، وهم الذين يقومون بالدعاية لها عن طريق المكاتبات التى تصدر عنهم إلى غيرهم من الملوك والسلاطين .

والمعروف أن مصر والشام تعرضتا فى العصرين الأيوبى والمملوكى لأخطار

(١) جورجى زيدان : تاريخ أداب اللغة العربية ج٣ ص ٣٦ .

(٢) محمود رزق سليم : عصر سلاطين المماليك ج٢ ق١٠ ص١٥٢ القاهرة سنة ١٩٤٩م .

حروب داهمة وهى الحروب الصليبية وحروب المغول ، وقد استتبع ذلك الاهتمام بالرسائل والمراسلات التى تحث على الجهاد والنضال والرسائل التي ترسل إلى السلاطين لحثهم على لزوم الطاعة وتقديم العون والمساعدة لصد هذه الغارات .

وقد لعب الشعر دوراً هاماً فى أحداث ذلك العصر بالذات ، وكان صورة له فقد عكس مراحل الحروب الصليبية وما حصل عليه المسلمون من انتصارات ، أو ما نكبوا به من هزائم ، ولم يقتصر هذا الشعر على طبقة الشعراء المحترفين من مداحى الملوك والسلاطين والأمراء بل إن كثيراً من الناس تعلقوا به ، وصار لهم هواية محببة إليه فيودعونه ما يريدون التعبير عن مكنونات نفوسهم أو يتبادلون به التهانى والرسائل ... (١)

ولقد كان لهذا الشعر خطوة كبيرة ، وكان له تأثير كبير على السلاطين والوزراء والأمراء والقواد ، وكان الشعراء هم ألسنة الدعاية لانتصاراتهم وأعمالهم، لذلك كانوا مقربين من أصحاب السلطة ، وكبار رجال الدولة .

ولا شك فى أن الأدب فى القرن السابع الهجرى ، فى ظل الدولة الأيوبية اتصف بصفات وميزات وعلامات خاصة تميزه عن غيره ، ذلك أن أدب العصر الأيوبى ، تأثر بالحروب الصليبية التي اندلعت نارها ، واشتد وهجها في ذلك العصر ، واستمرت هذه الحروب طوال عصر الأيوبيين ، وحتى عصر المماليك مما جعل لذلك العصر صيغة مميزة عن غيره من العصور .

وقد كان العصر الأيوبى امتداداً للعصر الفاطمى ، فى أساليبه ومعانيه

---

(١) محمد زغلول سلام : الأدب فى العصر الأيوبى ص ٢٢٩ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م .

وألفاظه ، وإن كانت الدوافع التى تدفع الكاتب أو الشاعر إلى أن يكتب ، اختلفت كثيراً فى ذلك العصر ، وتعددت ألوان الكتابة والشعر وفنونه ، بين كتابة سلطانية ، ورسائل إخوانية ، وأدب خلقى وسياسى وأدب تاريخى ، وأدب قصة ، وأدب شعبى وأدب تأليفى صدرت به الكتب ... (١)

وقد اهتم أدباء العصر الأيوبى ، بإتقان الصناعة اللفظية ، والتفنن فى البديع والجناس ، فوضعوا علم البيان أو دونوه وضبطوه ، حتى صار علماً قائماً بنفسه ، وأتقنوا المقامات أيضاً ، وهى من قبيل الصناعة اللفظية ... (٢)

ومن هنا وجدنا في ذلك العصر ، مجموعة من كبار الشعراء ، وازدهرت الحياة الأدبية فيه " ومن أشهر الشعراء فى العصر الأيوبى فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م " ، ومن كبار الشعراء أيضاً فى ذلك العصر ، كمال الدين ابن النبيه المصرى المتوفى سنة ٦١٩هـ / ١٢٢٢م ، وبهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ... (٣)

وأما عن (مجال الأدب فى العصر المملوكى) فإنه يمكننا أن نقول إن السلاطين المماليك قد عرف عنهم تقريبهم للأدباء ، هذا وإن كان يؤخذ على الأدب

---

(١) د. أحمد أحمد بدوى : الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص ٣٠٢ دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٩م .

(٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص ١٣ مطبعة الهلال – القاهرة سنة ١٩٣١ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ج١٩ ص ٢٥٦ القاهرة سنة ١٩٦٧م – دار المأمون للنشر ، وانظر: ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ١٩٤ .

شعراً ونثراً ضعف اللغة الفصحى ، بسبب الاختلاط بالأعاجم فضلاً عن دخول كثير من الألفاظ العامية .

وقد غلبت الزينة اللفظية على شعراء ذلك العصر ، كما غلب السجع علي معظم كتابات ذلك العصر ، ومن الكتب التاريخية التى بنيت على السجع كتاب "عجائب المقدور فى نوائب تيمور" لابن عربشاه .

ونلاحظ أن سلاطين المماليك ، كانوا يشجعون التأليف فى ذلك الوقت والسبب فى ذلك بعض أمور منها : الحماسة الشديدة من أجل الدين ، والتشجيع الذى لقيه العلماء وبعض الأدباء إلى جانبهم ، ونشاط ديوان الإنشاء فى ذلك العصر ، وإنشاء المؤسسات التعليمية وغيرها ... (١)

ويمكننا أن نقول إن أدب ذلك العصر ، سواء كان أيوبياً أم مملوكياً ، غلبت عليه الصناعة اللفظية ، وكان غارقاً فى المحسنات البديعية ، ولكن فى النهاية نستطيع أن نقول : إنه عاشت مصر والشام أزهى عصورهما الأدبية فى ذلك الوقت.

وصارت القاهرة مركزاً للإشعاع ومحطاً للأنظار ، وملتقى العلماء والأدباء ، حقيقة أن السلاطين كانوا أجانب فلم تكن العربية لسانهم ، ولكنهم محافظة على دوام سلطانهم احترفوا العربية لغة الدين الذى وصلوا باسمه إلى العرش ، فلا أقل من أن يشجعوا العلماء والأدباء .

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٢٧٢ .

ومن خلال هذا العرض السابق للحياة الثقافية فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، فى مصر والشام ، يتضح لنا أن هذا القرن ، كان بمثابة إشعاع حضارى ، فى كل من القطرين ، فقد ازدهرت فيه مختلف أنواع العلوم والمعارف ، وظهر فيه عدد كبير من المؤلفين الكبار ، فى مجال التأليف فى كل العلوم .

الفصل الأول

تطور حركة التاليف التاريخى فى مصر وسوريا حتى نهاية القرن ٧هـ / ١٣م

تطور حركة التأليف التاريخى فى مصر والشام حتى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى

المقصود بتطور التأليف التأريخى فى مصر والشام حتى نهاية القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى ، هو بيان حركة التأريخ والمؤرخون فى تأريخهم للأحداث ، مع تعريف بكبار المؤرخين ى مصر والشام ، فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى .

وكلمة (تاريخ) لفظة عربية جذرها (و. ر.خ) وهو جذر سامى نقل عن لغة اليمن الجنوبية، وليس منقولا عن العبرية ولا السريانية ... (١) .

وهى فى الاصطلاح تعنى : الفن الذى يبحث فيه عن وقائع الزمان ، من حيث التعيين والتوقيت ، ومعنى ذلك أن لفظة (تاريخ) تعنى الاهتمام بمواليد ووفيات الأئمة والحكام والعلماء، ويهتم بوقائع حياتهم وحوادثها الجليلة ، وقيام الدولة وانهيارها ، وقد يتوسع فيه فيندرج تحته قصص الأنبياء وبدء الخلق ، وما قد يقع فى العالم من آيات كونية ، وحوادث طبيعية ، كالزلازل والبراكين والسيول ،

---

(١) مرجليوث : دراسات عن المؤرخين العرب ص ٣٠ ترجمة د / حسين نصار - دار الثقافة - بيروت .
وعن هذه الكلمة من حيث اللغة والمعنى انظر :
- السخاوى : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٥ دار الكتب العلمية - بيروت .
فرانز روزنتال علم التاريخ عند المسلمين نشر صالح أحمد العلى .
دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين (مترجم للعربية) مادة (تاريخ) التى حررها جب ٤ / ٤٣٧٣ يصدرها بالعربية عن الأصلية الإنجليزية : إبراهيم زكي وعبد الحميد يونس ، نشر صالح أحمد العلى ، وراجعها من قبل وزارة المعارف د / محمد مهدى علام سنة ١٩٣٣م.
- حمزة الأصفهانى : تاريخ ملوك الأرض والأنبياء ص ١٢ ط مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .

وانتشار الأوبئة ، وغير ذلك من الأحداث الخطيرة أو الأحداث الجسام التى تحدث ... (١)

إن تاريخ شئ من الأشـيـاء يعنى : " الدلالة على وقـتـه الذى ينتـهى إليـه ، بالإضافة إلى ما وقع خلال هذا الوقت من الوقائع والأحداث ... (٢) .

تطور التأليف التاريخى فى مصر والشام حتى نهاية القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى

إن أى باحث فى الحـركـة الثـقـافـيـة عند المسلمين ، يلفت نظره كـثـرة المشـتـغلين بالدراسات التاريخية منذ صدر الإسلام ، وازدياد نشاطهم ووفرة مؤلفاتهم على مر العـصـور ، وقد أتاحت هذه الدراسات المبكرة لعلم التـاريخ الإسلامى ، أن يسـاهـم مساهمة إيجابية فى بناء صرح الحضـارة العربية الإسـلامية ، وحفظ تراث الأمة وأمجادها .

وقد شجعت الدراسـات الأولى ، التى قام بها المؤرخون المسلمـون ، على دعم مكانة التاريخ الإسلامى ، والاستفادة منه فى مـجالات الحياة العامة والخاصة ، فكانت حـياة النبى الكريم وسيـرته ، أول مـوضـوع تناولتـه الدراسـات التاريخية فى صـدر الإسلام ... (٣) .

---

(١) السخاوى : الإعلان ص ١٧ .

(٢) د . حـسنين مـحـمـد ربيع : مـحـاضـرات فى علم التـاريخ ص ٤ دار النهـضـة العربيـة سنة ١٩٨٤م ، وعن التاريخ والتأريخ و انظر :

– عبد الرحمن بدوى : النقد التاريخى ص ٥ ط سنة ١٩٧٧م بالكويت .

- TOYNBEE: A STUDY OF HISSTORY- VOL- I.PP1-2 OXFORD1962.

- OMAN, CH, ON THE WRITING OF HISTRY. P.2 LONDON1939.

(٣) د . إبراهيم العدوى : مدرسة التاريخ الإسلامي في مصر – نشأتها وأهم مؤسسيها ص ٦٩ – ٨٠ مقال بحوليات كلية دار العلوم سنة ١٩٦٨ – ١٩٦٩م .

وفى هذا الصـدد يكمن القـول إن سيـرة الرسـول الكريم كانت نموذجا وقدوة للمؤرخين المسلمين ، فـاتجـهـوا إلى كـتـابة سيـر الحكام اقـتـداء بسيـرته العطرة انظر : د / قـاسم عبـده قـاسـم : الرؤية الحضارية للتأريخ ص ٩٥، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ط ٢ دار المعارف سنة ١٩٨٥م.

ولذلك كان علم التاريخ عند المسلمين ، يهدف فى البداية إلى دراسة سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأعمال الصحابة والجماعة الإسلامية الناشئة ، وأخبار الغزوات والجهاد، وكان الاعتماد فى ذلك على الرواية الشفهية قبل كل شئ ، وهكذا يلاحظ أن طبيعة علم ا لتاريخ لم تكن تختلف أولا عن طبيعة علم الحديث .... (١) .

وفى البدايات الأولى لحركة التاريخ فى مصر ، يمكن القول إن مصر قد نعمت بعدد ممن نقلوا تاريخ هذه الفترة ، ومنهم عبيد الله بن أبى جعفر ، والليث بن سعد ، ويوحنا النقيوس القبطي... (٢)

وقد برع ابن لهيعة فى رواية الأحاديث النبوية والأخبار التاريخية ، وتوفى سنة ١٧٤هـ/ ٧٩١م تاركا وراءه الكثير من الأخبار فى تاريخ مصر .

وبنهاية القرن الأول الهجرى ، ظهرت التآليف والمدونات فى أخبار الفتح الإسلامى لمصر، وكان ذلك على يدى أبى قبيل بن هانئ المعافرى الذى يعد من أقدم الرواة فى مصر وتوفى سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥ م .

وكان ليزيد بن حبيب اهتمام ملحوظ بالرواية التاريخية ، وما ترك من أعمال كانت مصادر أولية لكل من ابن عبد الحكم والكندى فى مؤلفاتهما وممن تجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد ، عبد الله بن وهب ، الذى يمكن أن نعده من أهم الرجال الذين عنوا بالتاريخ وتدوينه والتأليف فيه .... (٣) .

---

(١) د / سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ص ٢٥ القاهرة سنة ١٩٧٦م .
وعبد العزيز الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٦١ ط بيروت – المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٠م .

(٢) ويلاحظ هنا أن المعلومات عن هذين القرنين (الأول والثاني الهجريين) قليلة جدا نتيجة لفقدان معظم المؤلفات التاريخية لمؤرخى هذه الفترة .

(٣) د/ فتحية النبراوى : علم التاريخ – دراسة فى مناهج البحث ص ١٩٨ – ١٩٩ طبعة سنة ١٩٩٣م القاهرة .

وأما عن مصادر هؤلاء المؤرخين وغيرهم - من مؤرخي القرن الأول والثاني الهجريين - فإنهم اعتمدوا على القرآن الكريم ، كمصدر أساسي ، وذلك في بعض مواقف المنافقين ، وما سرده القرآن الكريم عن غزوات (بدر ، أحد ، الأحزاب ، حنين - وغيرها) فكان القرآن مصدراً للسيرة النبوية ، كما كانت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي رواها ابن عمرو أو نقلها يزيد بن حبيب ، وابن لهيعة ، أو الليث بن سعد من المصادر الثرية لأحداث السير والمغازي أيضا ... (١) .

كما اهتموا بالرواية عمن عاصر الأحداث التاريخية ، فنقل إلينا ابن عمرو من أحداث السيرة والراشدين وغيرهما ، وكلها كان لها شاهدا وحاضرا ... (٢) .

وكانت موضوعات المؤرخين المسلمين في هذه الفترة ، غالبا تتناول الأحداث العامة والخاصة في مصر ، وبعض الأحداث التاريخية القديمة ، والتي يغلب عليها طابع الأسطورة ، والموضوعات العامة التي عرضوا لها ، كانت حول أحداث ما قبل الإسلام وتاريخ السيرة النبوية ، وقليل من تاريخ الراشدين ، وبعض الملاحم والفتن والتنبؤات ، وأحداث فتح مصر وأخبارها بعد الفتح ، وأحداث الفتنة بعها ، وبعض الروايات عن الخطط وتاريخ القضاة والتنظيمات المالية والإدارية في مصر ، وشئ من فتوح إفريقية ... (٣) .

وعند الحديث عن التأريخ والمؤرخين في الشام في هذه الفترة ، فيمكن القول إن المدرسة الشامية كانت تعود في نشأتها إلى اهتمام معاوية بن أبي سيفان

---

(١) أسد رستم : مصطلح التاريخ ص ٨٦ ط لبنان - المطبعة الأمريكية .

(٢) عبد الفتاح فتحي عبدالفتاح : الدراسات التاريخية في مصر الإسلامية في القرن الثالث الهجري مج٢ ص٦٤٣ (رسالة ماجستير) القاهرة ١٩٩١م .

(٣) د/ سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامي ص ٢٥ - ٢٧ .

بالتاريخ ، حيث استدعى إلى الشام عبيد بن شرية الجرهمي اليمنى ... (١) ، وكفله بكتابة تاريخ للعرب أسماه (كتاب الملوك وأخبار الماضين) .

وقد مهد لظهور مدرسة التأليف التاريخي فى الشام ، عدد من الرواة كانوا الخطوة الأولى السابقة للتدوين التاريخي ، ومنهم بعض الصحابة الذين اشتركوا فى الفتوح مثل أبى أمامة الباهلى الذى اشترك فى فتح الشام وروى المؤرخون عنه بعض أحداث الفتح ... (٢)

ثم جاء من التابعين وتابيعهم من عرف بعد ذلك برواية الأخبار التاريخية فى الشام ومنهم أبو عثمان الصنعاني ، وشراحبيل بن مرشد وهو من التابعين أدرك أبا بكر ، وشهد اليمامة وفتح دمشق ، وروى عن سلمان الفارسى " قال ابن حبان هو صاحب " الفتوح " يروى المراسيل أى الأحاديث المرسلة ، وقد أوردت له المصادر وصفه لفتح حمص ، وحصار دمشق وكيفية فتحها ... (٣) .

ومن مؤرخى المدرسة الشامية أيضا والذين هم نواتها : عروة بن الزبير بن العوام ، والزهرى محمد بن مسلم بن شهاب المتوفى سنة ١٢٦هـ ، والأوزاعى

---

(١) وعبيد بن شرية الجرهمى توفى سنة ٦٧هـ / ٦٨٦م ، حيث توفى فى خلافة عبد الملك بن مروان ، وهو مشترك النشاط بين مدرستى الشام واليمن انظر :

- شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص ١٣٧ ط ٣ دار العلم للملايين سنة ١٩٨٣م .

- ابن النديم : الفهرست ص ١٣٢ دار المعرفة للطباعة والنشر - لبنان سنة ١٩٧٨م .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص ١٢١ .

(٣) المصدر السابق : ج١ ص ١٢١ .

المتوفى سنة ١٥٧هـ ، ويأتى بعد ذلك عوانة بن الحكم الكلبى المتوفى سنة ١٤٧هـ ... (١) .

وكتب فى سيرة بنى أمية ، وهو صاحب أول كتاب يحمل اسم (كتاب التاريخ) ، ولكن الكتابين فقدا ولم يبق منهما إلا ما تناثر لدى المدائنى ، وابن الكلبى ، والطبرى وغيرهم ... (٢)

وقد أسهم كثير من المدن الشامية ، فى تغذية المدرسة التاريخية فى بلاد الشام بعدد من الرجال الذين وضعوا لبنات فى صرح العمل الثقافى فى هذه المرحلة لاسيما تدوين التاريخ ، لكن المؤسف حقا ، هو اندثار النتاج العلمى لمؤرخى الشام فى القرون الثلاثة الأولى... (٣) .

ومن الجدير بالذكر ، أن مدرسة الشام سارت على نفس النهج الذى سارت فيه الكتابة التاريخية منذ نشأتها ، لكنها اتخذت طابعا خاصا بها وهو التخصص إن جاز لنا أن نستخدم هذا التعبير ، والمقصود بالتخصص هنا هو أن المؤرخين الشاميين كانت معظم مؤلفاتهم إقليمية ، بمعنى أنها تتناول التأريخ لبلاد الشام وأحداثه السياسية .

---

(١) عوانة بن الحكم :

كان إخباريا أيضا على دراية بالأخبار والفتوح ، مع علم بالشعر والأنساب ونستنتج من رواياته والتى إوردها الطبرى والبلاذرى ، أنه التزم موقفا حياديا من الصراع بين الأمويين والعلويين ، فلم يتعصب لفريق على فريق انظر :

- د/ السيد عبد العزيز سالم : مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى ص ٦٩ ط مؤسسة شباب الجماعة بالإسكندرية .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ج١ ص ١٢٨ .

(٣) د/ فتحية النبراوى : علم التاريخ - دراسة فى مناهج البحث ص ١٢٣ ، ١٢٤ ط سنة ١٩٩٣م بالقاهرة .

ويبدو أنه من العدالة أن تعطى هذه المدرسة حقها بين المدراس الأخرى ، فى إثراء الفكر الإسلامى ، والكتابة التاريخية ، بما قدم رجالها من أعمال هامة ، تعد مصادر أساسية، لها قيمتها التى لا تقدر فى التأريخ لبلاد الشام بصفة خاصة وبلاد الإسلام بشكل عام .

وقد كان علم التاريخ على أيدى مؤرخى القرن الأول والثانى من الهجرة (فى مصر والشام) على صلة واسعة بالعلوم الأخرى كالفقه والحديث على وجه الخصوص ، وغير ذلك من العلوم الأخرى ، وقد تبلورت ثقافة هؤلاء المؤرخين فى تطبيقهم لمنهج الإسناد الذى اتبعوه .

كما يلاحظ أيضا تشابه موضوعات هؤلاء المؤرخين فى مصر والشام ، والتى كانت تتمثل فى الحروب ، والفتن السياسية ، والفتوحات ، حيث كان كل ذلك يمثل المادة التى كان يستخدمها هؤلاء فى مصنفاتهم التاريخية وغير التاريخية ، ومثل المؤرخين الشاميين فى ذلك مثل المصريين .

وجملة القول : أن أهل السيرة والأخبار قد رسموا فى أواخر القرن الثاني الأبواب الأساسية للتاريخ عند العرب وهى لا تعدو أمورا أربعة :

١- أخبار الماضين .　　　٢- أحوال العرب قبل الإسلام .

٣- السيرة .　　　٤- أخبار الدولة الإسلامية ... (١) .

وكان من مؤرخى هذا القرن ، عثمان بن صالح ، ويحيى بن أبى بكر الذى صنف تاريخا عاما حوليا نقل معظم مادته عن الليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥هـ ، وهذا إلى جانب الموضوعات التى سبق أن طرقها المؤرخون فى القرنين الأول والثاني والتى تتحدث عن تاريخ العلماء والولاة والقضاة ..... إلخ .

---

(١) هرنشو : علم التاريخ – ترجمة عبد الحميد العبادى ص٥٦ ط١ – القاهرة سنة ١٩٨٨م .

وهؤلاء المؤرخون كانوا هم الممهدين لحركة التأليف التاريخي في القرن الثالث الهجرى ، ولكن للأسف فإن فقدان معظم مؤلفات أومصنفات هؤلاء المؤرخين ، وحرماننا من دراسة كتبهم بكامل جزئياتها و أسانيدها ومروياتها ، حرمنا من الوقوف على حقيقة ما أعطوا وما أخذوا ، فأصبح عرض هذه السمة مشوباً بشئ من النقص وعدم الوضوح .

ونأتى بعد ذلك إلى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، حيث نلاحظ أن مؤرخى هذا القرن كانت لهم مصنفات فى التاريخ الإسلامى أكثر من مؤرخى القرنين الأول و الثانى الهجريين .

ويلاحظ أيضا أن بقايا كتب هؤلاء المؤرخين ، تشير إلى ظاهرة جديدة فى هذا القرن ، وهى طغيان التأريخ المحلى المصرى على هذه المؤلفات ، أما السيرة وتاريخ الراشدين ، وهما محور التأريخ فى القرنين الأول والثانى الهجريين ، فبدأ التأليف فيهما يتراجع إلى المرتبة الثانية ، وممن ترك آثار فيها أسد بن موسى ... (١) .

ولعلنا فى الحديث عن عميد هؤلاء المؤرخين (ابن عبد الحكم) ... (٢)

---

(١) عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح : الدراسات التاريخية فى مصر فى القرن الثالث الهجرى (رسالة ماجيستير) مج٢ ص ٦٥٢ بمكتبة دار العلوم رقم القاهرة سنة ١٩٩١م .

(٢) ابن عبد الحكم : هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن الحكم بن أعين بن رافع القرشى ، ولد سنة ٨٧هـ وتوفى فى المحرم سنة ٢٥٧هـ بالفسطاط ، فبلغ السبعين عاما أوزاد قليلا ، ودفن بجوار الإمام الشافعي وقبر أبيه عبدالله بن عبد الحكم ، وفيما بين تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته ، عاش عمرا مديدا مباركا فيه ، حافلا بالتلقى عن أيدى العلماء المبرزين انظر : محمد عبدالله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري ص٨ - ٢٠ط سنة ١٩٩١م مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة .
والسيوطى : حسن المحاضرة ج١ ص ٤٤٦ ط١ سنة ١٩٦٧م .
الذركلى : الأعلام ج٣ ص ٣١٢ .

نستطيع وضع أيدينا لمعرفة حركة التأليف التأريخي وتطورها .... (١) .

وابن عبد الحكم هو واضع الحجر الأول في مصادر تاريخ مصر الإسلامية ، وهو صاحب الفضل الأول في صياغة هذا الهيكل التاريخي ، الذي قدم إلينا فيما بعد على يد المتأخرين من كتاب التاريخ المصري في أثواب بديعة زاهرة .

وقد بدأ الانتفاع براوية ابن الحكم منذ أوائل القرن الرابع ، فاستفاد منها الكندي في مجهوده ، ثم تداولها المؤرخون المصريون تباعا بالنقل ، والاشتقاق منذ ابن زولاق ، والمسبحي، والقضاعي ، إلى ابن وصيف شاه ، وابن دقماق ، والمقريزي وابن حجر العسقلاني ، وابن تغري بردي ، والسخاوي ، والسيوطي ، وابن إياس ، وهم من أقطاب هذه المدرسة التاريخية الزاهرة التي خلدت تاريخ مصر الإسلامية بآثارها الباهرة .... (٢) .

ويمكننا أن نقول إن مدرسة التاريخ الإسلامي بمصر ، قد استكملت أسباب نشأتها ومراحلها التأسيسية ، بظهور هذا المؤرخ الكبير ، وذلك لأن المؤرخين الذين أسسوا تلك المدرسة ، من أيام يزيد بن حبيب إلى عثمان بن صالح ، قد تركوا مادة هائلة ولكن كان ينقصها الترتيب والتنسيق ، حتى تستكمل مدرستهم شخصيتها وسماتها ، فجاء ظهوره نقطة تحول هامة في مدرسة التاريخ الإسلامي بمصر ، وخاصة ظهور مجموعة كبيرة من المادة التاريخية بعد انتهاء القرن الثاني

---

(١) د/ أحمد رمضان أحمد : تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى ص١٧٤ ، ١٧٥ - دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٨٩م .

(٢) محمد عبدالله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ص ١٩ ط١ سنة ١٩٦٩م .

الهجرى / الثامن الميلادى ، والتى اشتملت على جانب من القصص الشائع والأساطير ... (١)

وهكذا يعتبر ابن عبد الحكم من طليعة الرواد ، فى كتابة التاريخ الإسلامى من أبناء القرن الثالث الهجرى ، حيث أوضح معالم مدرسة مصر التاريخية التى صارت تعرف بها منذ القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، وسط الأمصار الإسلامية .

وإن كان عبدالحكم قد شارك المؤرخين المسلمين ، فى الاعتماد على طريقه الإسناد...(٢) فإنه خالفهم من حيث موضوع الدراسة ، وتبويب مادته العلمية كذلك ، أما من حيث الموضوع فيعتبر كتاب ، فتوح مصر وأخبارها ، من أقدم الكتب العربية التى تخصصت فى تاريخ إقليم محدد من أقاليم الدولة الإسلامية الكبرى ، وهو إقليم مصر والمغرب ... (٣) .

---

(١) وكتاب ابن عبد الحكم (فتوح مصر وأخبارها) قسمه مؤلفه إلى سبعة أجزاء ، الأول فى فضائل مصر وتاريخها قبل الإسلام وفيه الكثير من الأساطير ، والثاني يعالج الفتح الإسلامى ، والثالث يشرح الخطط ونزول العرب فى مصر والنظام الضريبي ، والرابع إدارة مصر بعد الفتح حتي وفاة عمرو بن العاص ، والخامس فتح إفريقية وأسبانيا حتى سنة ١٢٧هـ ، والسادس تاريخ مختصر لقضاة مصر حتي مصر سنة ٢٤٦هـ قبل وفاة المؤلف بعشر سنوات ، وأما السابع فأكبر الأجزاء ، وقد خصصه لمختارات من الأحاديث والروايات المنسوبة للصحابة الذين دخلوا مصر انظر : شاكر مصطفي : التاريخ العربي والمؤرخون ج٢ ص١٤٦ وانظر أيضا : عبد الرحمن زكى : خطط الفسطاط فيما كتبه عبد الرحمن ابن عبد الحكم ص ٤٩ ، ٥٠ دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٥م .

(٢)انظر فى ذلك : ابن عبد الحكم : فتوحات مصر ص ٢٤٨ طبعة بغداد – مكتبة المثني .

(٣) وعن كتاب فتوح مصر وأخبارها انظر : د/ عيسى مرسى سليم حسين " كتاب فتوح مصر وأخبارها " لابن عبد الحكم سنة ١٨٧ – ٢٥٧هـ / ٨٠٣ – ٨٧١م دراسة أدبية ص ٣١ وما بعدها – رسالة دكتوراة بجامعة عين شمس – قسم اللغة العربية سنة ١٩٨٠م .

وتبدو قيمة أثر عبد الحكم بالأخص فى روايته لأخبار الفتح الإسلامى ، وما كانت عليه مصر يومئذ من الأحوال والظروف ، ونستطيع أن نضرب صفحا عما يورده المؤرخ قبل ذلك ، من أخبار مصر القبطية أو الوثنية قبل الفتح ، فما يورده من ذلك يحمل طابع الأساطير والقصص ... (١) .

وقد توفى ابن عبد الحكم سنة ٢٥٧هـ ، تاركا وراءه مدرسة التاريخ الإسلامي فى مصر قوية الأوتاد وصار لها كيانها الواضح المعالم ، وتجلى ذلك فى كثرة الناقلين عن ابن عبد الحكم ، من المؤرخين الذين حملوا من بعده راية تدوين التاريخ الإسلامى في مصر ، إذ ظل المؤرخون من القرن الثالث الهجرى ، أى منذ وفاة ابن عبد الحكم إلى القرن العاشر الهجرى ، ينسجون على منوال أستاذهم ، فى رفع مدرسة التاريخ الإسلامى بمصر ، ودعم تقاليدها وأبحاثها... (٢) .

وأما عن مؤرخى المدرسة الشامية فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى فإن هناك مجموعة من الأسماء الصغيرة ، فى فترة تزيد على ثلاثة قرون، قبل أن يظهر المؤرخون الكبار فى الشام .

ولا نكاد نجد اسماً بارزاً فى التاريخ بالشام طوال القرون الممتدة ما بين مطالع الخلافة العباسية القرن الثانى ، حتي أواسط القرن السادس ، ويمكن أن نعد منهم أبوزرعة المتوفى سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٥م ، وأبو القاسم (أو أبو الحسن) محمود بن إبراهيم بن سميع الدمشقى الحافظ المتوفى سنة ٢٥٩هـ ، وأبو بكر

---

(١) محمد عبدالله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ص ١٧ ط سنة ١٩٩١م ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة .

(٢) وعن منهج ابن عبد الحكم فى كتابه فتوحات مصر انظر : د/ إبراهيم العدوى : ابن الحكم رائد المؤرخين العرب ص ٥٥ - ٦٣ طبع مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م .

أحمد بن المعلى بن يزيد الأسدى الدمشقى المتوفى سنة ٢٨٦هـ - ٨٩٩ م ... (١)

ومن عوامل تطور الدراسة التاريخية فى القرن الثالث ، يلحظ الباحث زيادة فى المادة التاريخية ، والدقة والتحرز فى نقلها ، وذلك ما أشار إليه هرنشو من استقرار دواوين الدولة ، ولا سيما دواوين الإنشاء ، وأمكن المشتغلين بالتاريخ أن ينتفعوا بها فى صناعتهم .

كما يؤخذ مما اشتملت عليه تواريخ القرن الثالث ، من عهود رسمية ومراسلات سياسية وإحصاءات للمواليد والوفيات ومدد ولاية كبار الدولة ، من وزارة وقود وعمال وقضاة وولاة لمواسم الحج ، ووصف الحروب الداخلية ، ووقائع الغزو على الحدود صيفا وشتاء وغير ذلك ، ثم إنه فى العصر المذكور قويت حركة النقل عن اللغات الأجنبية كالفارسية والسريانية واليونانية واللاتينية ... (٢) .

لقد تطورت الكتابة التاريخية فى ذلك الوقت أيضا ، ولكن كان تطورها جزءا من التطور الثقافى العام الذى عرفه المجتمع الإسلامى فى القرون الثلاثة الأولى ، وقد كان هذا التطور تطورا إسلاميا خالصا ، بحيث لم يتأثر بمؤثرات ثقافية أجنبية ، أى فى جوانب ثانوية منه ومحدودة .

وفى القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الإسلامى ، يمكن القول إنه لم يوضع علم التاريخ فقط . ولكن تحددت أيضا مناهجه وخططه وأساليب كتابته ، وذلك الأمر الذى جعل أحد الباحثين يعبر عن ذلك بقوله : " إن القرن الثالث يعد مرحلة

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص ٢٢٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ط١ دار العلم للملايين سنة ١٩٩٠م وانظر ايضا :

- CLOUDE CAHEN; LA SYRIE NORD AL, EPOQUE DESCROISADES LE SSOURC ES ARABES, P.P32-38 PARIS1940

(٢) هرنشو : علم التاريخ – ترجمة عبد الحميد العبادى ص ٥٥ ،٥٦ الطبعة الاولى ١٩٨٨ م

انتقال بين ما كان فى القرنين الأول والثانى وبين ما ظهر من علوم وفنون فى القرون التالية " ... (١) .

ويمكن القول إن القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، قد مهد الطريق لما شهده القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، من تطور فى فن كتابة التاريخ وتحقيق استقلاليته كعلم من العلوم الإسلامية ، الذى اضطلعت مصر فيه ، بعبء كبير لبنائه ووضع أسسه ، وتطوير مناهجه وتوسيع مجالاته .

ثم إن سهولة التنقل بين أنحاء الدولة الإسلامية ، حملت كثيرا من طلاب العلم والمؤرخين خاصة ، على الرحلة فى طلب الرواية وأخذها عن الشيوخ ولرؤية عجائب البلاد ومشاهدة آثارها ، فوجد بذلك مصدر هام للمادة التاريخية هو المشافهة والمشاهدة .

وعلى الجملة فإن مؤرخى القرن الثالث حددوا بصفة عامة مصادر التاريخ عند العرب فكانت أربعة أشياء :

١- كتب السيرة والأخبار . ٢- السجلات الرسمية .

٢- الكتب المنقولة عن اللغة الأجنبية ٤- المشاهدة والمشافهة (٢) .

---

(١) آدم متز : الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج١ ص ٢٠١ ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة .

(٢) هرنشو : علم التاريخ ص ٥٦ ترجمة عبد الحميد العبادى سنة ١٩٨٨ م .

تطور حركة التاليف التاريخى
فى مصر والشام
من ق ٤ هـ/١٠م حتى نهاية ق٦هـ/١٢م .

فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، شهدت مصر فترات متعاقبة من الاضطراب ، وتحول السلطان ، فتغلب عليها بنو الإخشيد حينا ، بعد ذهاب الدولة الطولونية ثم افتتحها الفاطميون بعدئذ بقليل ، واتخذوها مراكز لملكهم ، وخلافتهم ودعوتهم .

وكان عصر هذا الانقلاب ، موضعا لمباحث جماعة من أعلام الرواة ، المؤرخين المصريين، الذين شهدوه ، أو عاشوا قريبا منه ، وانتهت إلينا بعض آثارهم ... (١) .

ومع هذا التغيير السياسى الجوهرى فى تاريخ مصر السياسى والدينى ، ذلك التغيير الذى انتزع مصر من أحضان الخلافة العباسية السنية ، وجعلها مستقلة سياسيا وفكريا وعقديا ، كما جعلها مركزا مناوئا منافسا ، بل معاديا للخلافة الإسلامية فى بغداد ، هذا التغيير سجله المؤرخون المصريون .... (٢) .

والقرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى هو القرن الذهبى للتاريخ الإسلامى ، ويشهد بذلك عدد من المؤرخين ، وعدد المؤلفات التاريخية وأنواعها ، ولم يقاربه فى ذلك إلا القرن السابع الهجرى الذى شهد بدوره فيضاً هائلاً من المؤرخين والمؤلفات والاهتمام التأريخى الواسع .

---

(١) محمد عبد الله عنان : مؤرخو الإسلامية ص ٣٤ .

(٢) فتحية النبراوى : علم التاريخ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

وإن تحددت فى القرن الرابع خاصة معالم التاريخ الإسلامى ، فلم يدخل عليها بعده إلا أبسط التعديل ، سواء فى المادة أو الأسلوب أو المنهج أو الفروع التاريخية ، فقد تجد هذه الظاهرة تفسيرها فى رغبة الفكر الإسلامى فى ذلك القرن ، فى تسجيل ملامح وأحداث حضارة كبرى ، بلغت إذ ذاك أوجها ، وبلغ شعورها بتميزها وتقدمها أوجه .

وبدأت فى الوقت نفسه دور المحافظة ، أى دور الأفول والتراجع ، كأنما أحس المؤرخون بضرورة تسجيل كل شئ من تلك الحضارة ، وكتب التاريخ بالمعنى الكامل والأوفى لهذه الكلمة، إنما هى مؤلفات القرن الرابع ... (١) .

ومنذ الفتح العربى لمصر ، والمؤرخون المصريون يهتمون بتاريخ بلادهم ويعنون به عناية كبيرة ، وفى القرن الرابع وجدنا من هؤلاء الكندى المتوفى سنة ٣٥٠هـ ، وهو محمد بن يوسف بن يعقوب ، ومن أشهر مؤلفاته كتابه " الولاة والقضاة " ، ويعتبر الكندى من الإخباريين الذين عنوا بمصر ، ويشتمل كتابه على تاريخ الولاة والقضاة الذين تولوا حكم مصر ، منذ الفتح العربى إلى قرب زمن المؤلف ... (٢) .

ومن كبار مؤرخى مصر أيضا فى القرن الرابع ، المؤرخ ابن زولاق ، وهو أبو الحسن إبراهيم بن الحسين المصرى الذى صنف كتابا فى فضائل مصر وذيلا على قضاة مصر للكندى وتوفى سنة ٣٨٧هـ عن إحدى وثمانين سنة ... (٣) .

كذلك شهدت المدرسة المصرية ، مع بدايات القرن الرابع الهجرى / العاشر

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص ٤٦٢ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٢٨٨ .

(٣) السيوطى : حسن المحاضرة ج٢ ص ٢٣٨ .

الميلادى ، تطورا هاما فى الكتابة التاريخية ، إذ بدأ المنهج التاريخى يأخذ شكلا واضحا تحددت فيه معالمه الأساسية ، حيث انتشر التدوين بصفة عامة ... (١) ، وتمكن التاريخ فى النفوس ولم تعد الرواية تكفى فى نقل الحقيقة التاريخية ، وعلى هذا تحول المؤرخ من مجرد إخبارى ، كما يطلق عليه تمييزاً عن " المحدث " فى بداية التاريخ ، كان غرضه استيعاب الأخبار ، والمحافظة على كيفية نقلها ، من خلال سلسلة الرواة ، تحول هذا المؤرخ الإخبارى فيما بعد ، إلى البحث عن ذات الخبر نفسه ، دون التقيد بتلك السلسلة التى طالت بالضرورة بمرور الزمن ، وصعب على المؤرخ المحافظة عليها .... (٢) .

وكان للمسبحى اليد الطولى فى وضع المعالم ، والذي ألف كتابا عن تاريخ مصر ، ومن بعده جاء القضاعى ... (٣) ، ليكون واحدا من رواد هذا المنهج الذى سار عليه فيما بعد ، المؤرخون المصريون اللاحقون .

واتضح هذا الأسلوب فى الاعمال الكثيرة العظيمة التى عكف القضاعى على إنجازها ولكنها للأسف لم تصل إلينا كاملة ، ولم نقف على معظمها ، إلا من خلال أعمال المؤرخين المصريين ، الذين ظهروا بعد عصر القضاعى ، ومن مؤلفات القضاعى كتاب " الشهاب " وكتاب " مناقب الإمام الشافعى " وكتاب " تواريخ الخلفاء " وكتاب " خطط مصر " ... (٤) .

---

(١) انظر فى ذلك : د . مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العرب ص ٣٨ ، ٣٩ ط بيروت سنة ١٩٨٢ م .

(٢) د . عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة فى العصور الوسطى ص ٢٠٣ ط سنة ١٩٣١م مكتبة الأنجلو المصرية

(٣) على إبراهيم حسن : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى العام وفى التاريخ المصرى الوسيط ص ١٠٨ ط٣ القاهرة سنة ١٩٨٠ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٤ ص ٢١٢ - ٢١٣ .

ومن الملاحظ فى هذا الصدد ، أن أوائل المؤرخين لمصر الإسلامية ، كانوا جميعا "إخباريين" بمعنى أنهم يكتفون بجمع الأخبار على طريقة المحدثين فى جمع الأحاديث ، دون أن يتعرضوا لتحليلها ، واستخراج النتائج السياسية والاجتماعية من خلالها ... (١) .

ويبدو واضحا ، تزايد عدد المؤرخين فى القرن الرابع الهجرى ، لأن المؤرخين يعتبرون هذا القرن ، هو قرن الجغرافية العربية ، وقرن التاريخ أيضا ونلاحظ فى هذا القرن أيضا ، اهتمام الناس بعملية التدوين التاريخى ، وكان ذلك يعتبر جزءا من ذلك النشاط الثقافى فى ذلك الوقت ، الذى شمل جميع نواحى الحياة وجميع فروع المعارف .

وبعد فترة الانطلاق ، التى كانت فى القرن الثالث الهجرى ، ويمكن القول إن القرن الرابع يمثل فترة النضج فى الحضارة العربية الإسلامية ، حيث كثرة الألوان والأنواع التاريخية التى ظهرت فيه ، وانطلق المؤرخون يؤلفون فى التاريخ العالمى الإسلامى العام وفى التاريخ الإقليمى ، والتأريخ للدول وتواريخ المدن ، كما كتبوا تواريخ عصورهم وألفوا فى التراجم والسير غير ذلك .

أما إذا جئنا للقرنين الخامس والسادس الهجريين ، نجد أنه قد حدث للتاريخ نوع من اليقظة حيث عاد المؤرخون يزاحم بعضهم بعضا .

وكان السبب فى ذلك هو تلك الأوضاع السياسية الحضارية ، التى حدثت للشرق الإسلامى ، من التحدى الفرنجى الصليبى من ناحية ، ثم هجوم المغول من ناحية أخرى ، وظهور دول إسلامية تواجه هذا الخطر ، وتتصدى له ، مثل دولة

---

(١) د . سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ص ٢٤ - ٢٥ .

الخوارزميين والزنكيين والأيوبيين ... (١) ، وكان ذلك هو السبب فى ظهور المؤرخين الكبار فى مطالع هذه الفترة .

ولا شك أن من الأوضاع الحضارية ، التى ساعدت على العودة إلى الاهتمام بالتاريخ واليقظة الثقافية والعلمية ، تلك المدارس التى أنشأها السلاجقة فى المشرق لتكون عاملا من عوامل الحفاظ على تراث أهل السنة والجماعة .

ويمكن القول إنه فى مقابل ذلك ، شهدت مدرسة الشام فى ذلك الوقت ، أقصى نشاط لها حيث إنه خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، صارت بلاد الشام مقراً لحكومات قوية ، نجحت فى توحيد البلاد ، وإثراء الحياة العلمية والثقافية بها ، مثل الدولة النورية والدول الصلاحية .

فكان نتيجة ذلك ظهور عدد من العلماء والمحدثين والفقهاء ، والمؤرخين ، الذين أمتاز الإنتاج العلمى لهم بالتخصص والإقليمية ، ولكنهم شاركوا مع غيرهم من رجال المدارس الإسلامية الأخرى ، فى أنواع الكتابات المعروفة ، فمنهم من كان موسوعيا فى كتابته ، ومنهم من كان محليا كتب تاريخاً لإقليم أو لمدينة أو كتب ترجمة لحاكم أو أمير ، أو كتب تاريخا لدولة أو غير ذلك ، وقد ساعد على ذلك، أن بلاد الشام كانت فى ذلك الوقت ، مركزا للتيارات السياسية والعسكرية المختلفة ، بحكم توسطها بين مصر والعراق ... (٢) .

---

(١) وقد كانت بداية ظهور الدولة الخوارزمية مرتبطا أشد الارتباط بدولة السلاجقة الحاكمة فى هذه الفترة والتى بسطت سلطانها على إقليم خوارزم منذ عهد طغرلبك السلجوقى ، فظلت تابعة لسلطان ورثته من بعده ، ويرجع تأسيس هذه الدولة إلى مؤسسها أنوشتكين ... انظر : ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ج٤ ص٣ .

د . عفاف سيد صبرة : التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية ص ٢٥ نشر دار الكتاب الجامعى ط١ سنة ١٩٨٧م.

(٢) عبدالرحمن حسين العزاوى : المنهج عند المؤرخين العراقيين ص ١١ - ١٩ رسالة ماجستير بآداب القاهرة تحت رقم ٢٩٢ .

ولم تكن هناك قواعد معينة ، أو تحديد معين ، للتأليف التاريخى ، فقد اختلفت أنواع الكتابات ، بحيث كان هناك من يؤرخ لمدينة معينة أو إقليم معين ، وكان البعض يؤرخ تأريخا عاما لكل الأقاليم ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

وقد اخترنا منها بعض المؤرخين أمثال :

ابن االأكفانى المتوفى سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م وكتابه " جامع الوفيات " ، والمقدسى القيسرانى ت سنة ، ٥٠٧ هـ / ١١١٣م وكتابه " تاريخ أهل الشام " ، وابن القلانسى ت سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م وكتابه " المذيل فى تاريخ دمشق " ، والمؤرخ العظيمى ت سنة ، ٥٥٨ هـ / ١١٦٣م وكتابه " تاريخ العظيمى " ، كل ذلك أمثلة توضح تنوع الكتابات واختلافها ما بين تاريخ عام وتاريخ محلى وغير ذلك ... (١) .

ولقد صاحب حركة الإفاقة والوحدة الإسلامية ببلاد الشام ، فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى ، حركة بعث ، أو انتعاش للكتابة التاريخية ، لأنه عندما تتعرض البلاد لخطر الغزو الخارجى ، ترك مدى الخطر الذى يهدد حضارتها وتراثها ، فتأخذ فى الاهتمام بهذا التراث .

وهذا ما أوضحه هاملتون جب حين قال " وانتقل مركز التدوين التاريخى بالعربية إلى الشام ، حيث كان ظهور أسرتى آل زنكى ، والأيوبيين ، حافزا على تأليف عدد من كتب التاريخ ... (٢) .

---

(١) وكان من رواد هذه الحركة التاريخية أيضا المؤرخ الفقيه ابن عساكر سنة ٤٩٩ - ٥٧٢ هـ / ١٠٠٥ - ١١٧٦م وهو صاحب تاريخ دمشق ومن أكبر مؤرخى الشام والمدرسة الشامية.

(٢) هاملتون جب : دراسات فى حضارة الإسلام ص ١٦٨ ، ترجمة د . إحسان عباس وآخرين ، دار العلم للملايين ط ٣ بيروت سنة ١٩٧٩م .

ولم يتأثر المؤرخون المسلمون تأثرا كبيرا بغيرهم ، من المؤرخين فى الأمم القديمة ، أو التى عاصرتهم ، فلم يصل إلينا شئ يشهد بأنهم عرفوا المؤرخين اليونان عن طريق ترجمات عربية ، كذلك لم يكن للكتابة التاريخية السريانية تأثير على المؤرخين المسلمين .

وذلك على الرغم مما نعرفه من أن السريان كانت لهم مدرسة مشهورة فى الرها وفى نصيبين ، ثم أسس لهم كسرى أنوشروان مدرسة فى جنديسابور ، وأنهم كانوا يتعلمون لغة اليونان وينقلون إلى السريانية الكتب اليونانية ، وأنهم أصبحوا بعد ذلك واسطة لاقتباس العرب كثيرا من التراث اليوناني .

والمعروف أن ما اقتبسه العرب منهم كان على الخصوص فى المنطق والفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا وليس فى التاريخ ، والواقع أن التأثير الأجنبى ، الذى نلمسه عند بعض المؤرخين القدماء ، إنما كان فى كتب التاريخ الفارسية ، فيما يختص بالتاريخ الإيرانى القديم ... (١) .

وهكذا فإن المؤرخون المسلمون ، عنوا العناية كلها بتاريخ الإسلام والعالم الإسلامى ، فالحضارة الإسلامية كانت فى نظرهم هى الحضارة كل الحضارة ، والدين الإسلامى كان عندهم هو الدين كل الدين ... (٢) .

ومن خلال هذا العرض السابق ، يتضح لنا ، أن حركة التاريخ والمؤرخين ، كان شأنها فى ذلك شأن مسيرة الفكر الإسلامى كله ، حيث لم تنقطع ، وربما يكون التبدل الوحيد الذى أصابها ، هو تغيير المركز الجغرافى .

---

(١) د . سيدة إسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ص ٤٩ .

(٢) جمال الدين الشيال : التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى عصر النهضة ص ١٣ ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان .

التاليف التاريخى فى القرن السابع الهجرى
الثالث عشر الميلادى

كان هناك عدد من كبار المؤرخين فى مصر والشام فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، وكانت لهم آثار خالدة فى مجال التاريخ ، وفى مختلف المجالات الأخرى، وكان ذلك نتيجة للتطورات السياسية ، التى حدثت فى العالم الإسلامى ، حيث جاء هجوم المغول الساحق من الشرق إلى جانب استمرارية ضغط الفرنجة من الغرب .

ومن هنا حدث شعور بالخطر المدمر ، فظهرت فى ذلك الوقت كنوع من الدفاع الذاتى سبعة تواريخ عالمية ، على مدى نصف قرن ، كتبها المؤرخون الكبار ، أمثال ابن الأثير وسبط ابن الجوزى ، وابن نظيف وابن أبى الدم وياقوت الحموى والقفطى وابن أبى أصيبعة .

ومعنى ذلك أن عالمية القرن السابع فى مؤرخيه ، كانت تتمثل فى الدفاع الذاتى ضد التحدى الصليبى ، وتذكير المسلمين بماضيهم العظيم ، ووحدتهم التى شملت كل البلاد الإسلامية ، فترة طويلة نحو ثلاثة قرون .

وكان مؤرخو مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، يختلفون فى نزعاتهم ومذاهبهم ، ولقد رتبهم الباحثون طبقات خمسا : فطبقة لكتابة السير الخاصة ، وطبقة للتراجم العامة ، وطبقة لتواريخ المدن والبلدان ، وطبقة للتاريخ العام ، ونحن نستطيع أن نقسمهم تارة بحسب الأسلوب الذى اصطنعوه فى كتابة التاريخ وتارة بحسب الموضوع أو طريقة التأليف ، فأما تقسيمهم بحسب الأسلوب ، ف فقد كان هؤلاء المؤرخون على قسمين :

الأول : (وهو على الأقل) مذهب يلتزم فيه المؤرخ السجع ، ويراعى فيه

أنواع البديع وهو مذهب العماد الأصفهانى ومن نحوه .

الثانى : مذهب سهل ، لا يتقيد المؤرخ فيه بشئ من ذلك ، وهو مذهب الكثرة المطلقة من المؤرخين ، من لدن الطبرى إلى عصر المماليك ... (١) .

ولكن يمكن القول إن هذين المذهبين قد أكمل كل منهما الآخر ، فكانت نتيجته مؤلفات متنوعة فى أسلوبها وطريقة أدائها ، ومختلفة فى نوعها وطريقة كتابتها ، وقد اعتنى كتاب ذلك العصر بكتابة تواريخ السير والتراجم والمدن والبلدان ، حيث تضافرت الجهود والأيدى على إخراج كتب تاريخية حافلة ، امتلأت بها خزانات الكتب .

ومن مزايا هذه النهضة التاريخية ، أنها كانت تضم بين ثناياها ضروبا أخرى من أقوال تاريخية ، وأنباء نتوارد فى سياق الموضاعات الرئيسية التى تكلفت الحديث عنها كذلك مؤلفات العلماء والمناظرات والمجالات ، وتدوين نصوص عدة من منثور الكلام ومنظومه وتسجيل الطرق الأدبية والحوادث الفكاهية ، وما إلى ذلك مما يوقف الباحث على الاتجاهات الأدبية، ويعينه على فهم النزعات الاجتماعية والعادات والتقاليد المرعية ..... (٢)

وقد بدأ العصر المغولى (فى العراق وإيران) والعصر المملوكى (فى مصر والشام) وللتاريخ رجاله الكبار ، وكتبه ذات المجلدات التى تبلغ العشرات ، ومكانته التى لم تعد تقل عن مكانة رواية الحديث ، ولاسيما فى أمر معرفة الرجال.

"ولئن دخل على الناس فى وقت معا فقد دخلا ، وفى بغداد ابن الساعى ، وفى حلب ابن العديم وابن شداد ، وفى دمشق ابن خلكان وبجواره ابن أبى

---

(١) د / عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٢٩٢ .

(٢) محمود رزق سليم : عصر سلاصين المماليك ج ٢ ق٣ ص٩٢ .

أصيبعه ، وفى مصر المكين ابن العميد وابن ميسر وفى الحجاز اليمن اليافعى ، وقد تكونوا فى ظل خلافة بغداد وسلطنة الأيوبيين ثم قضوا السنوات العشرين أو الثلاثين الأخيرة من أعمارهم ، فى ظل المغول والمماليك فكانوا فى خضرمتهم هذه جسور الاستمرار فى الفكر التاريخى ما بين عصر سياسى وعصر آخر ، وركائز التأكيد على وحدة ذلك الفكر فى مناهجه ومساره "... (١) .

ومن هنا كانت تلك الموسوعية فى المعلومات ، لإغراق الحاضر المليء بالتشاؤم والسوء فى ماضى رائع ، يعاد بناؤه للناس كتلة واحدة متكاملة ، إنها عملية دفاع داخلى يراد بها صيانة استمرارية الأمة ... (٢) .

وفى هذا الصدد يمكننا أن نقول إن موسوعية مؤرخى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى مختلفة ، حيث إنها محاولة لإعادة ثقة الأمة بذاتها والهرب إلى تاريخ سابق رائع من واقع سيئ تحقق الناس منه إنها استمساك بالعمود الفقرى للجماعة الإسلامية المهددة ، كى لا تنهار أمام الخطر الخارجى ، وتذكير لها بكافة الأمجاد السابقة ، التى انتصرت فيها على كافة الأمم الأخرى ... (٣) .

وقد كانت القاهرة مركز المؤرخين المصريين ، على حين كانت مدرسة الشام فى ذلك العصر ، موزعة النشاط بين عدد من المدن الشامية ، صحيح كانت (دمشق) تستأثر منها ومن رجالها بالنصيب الأوفى ، ولكننا نجد مؤرخين فى حران وحمص وصفد وعسقلان وحلب والقدس ، ولعل السبب فى ذلك هو عدم وجود رأس سياسى واحد للشام فى تلك الفترة كلها تقريبا .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٣ ص ١٠ - ١١ .

(٢) المصدر السابق : ج١ ص ٤٦١ .

(٣) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص ٤٦١ .

وكثر المؤرخون فى الشام فى الفترة الأيوبية ، ويظهر الفارق واضحا مع المدرسة المصرية ، التى ظهر رجالها كافة فى مدينة (الفسطاط ، القطائع ، القاهرة) فلم تترك هذه المدينة للإسكندرية أو لأسوان إلا الأضواء الباهتة جدا ، لأنها استأثرت بالنشاط السياسى والفكرى كله ... (١) .

ولكن هذا لا يمنع من وجود مؤرخين للإسكندرية ، " فقد اختصت الإسكندرية ، بوجه خاص بعناية بعض المؤرخين المصريين الذين اهتموا بإحصاء فضائلها ، ومن بين هذه المصنفات كتاب بعنوان " رسالة فى فضائل الإسكندرية " لمؤلف مجهول اشتملت على فتح الإسكندرية ، والحديث عن أسوارها ومساجدها ، وكتاب اخر بعنوان " الدرة السنية فى "تاريخ الإسكندرية " لمنصور بن سليم السكندرى المتوفى سنة ٦٧٤هـ ، وكتاب بعنوان " فضائل الإسكندرية " لأبى على الحسين بن عمر بن الحسن الصباغ " ... (٢).

---

(١) المصدر السابق : ج٢ ص ٢١٩ ، ومن الملاحظ فى ذلك الوقت انتشار حركة التأريخ الإقليمى أو ما يعرف بتأريخ المدن ، حيث كان المؤرخون يؤرخون لمدن معينة مثل القاهرة ودمشق وغير ذلك ، وعن هذه الظاهرة انظر : - فؤاد سيزكين : تاريخ التراث العربى ص ١٠١ - ١١٦ مج١ جزء ٢ ترجمة د . محمود فهمى حجازى سنة ١٩٨٣م جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية .

- د . سيدة إسماعيل كاشف : المنهج التاريخى لابن عبد الحكم مقال ضمن كتاب عن دراسات عن ابن عبد الحكم ، تأليف مجموعة من الأساتذة ص٣٢ - ٤٠ الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م .

(٢) د . السيد عبد العزيز سالم : مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية ص ١٠٨ ، ١٠٨ ط الإسكندرية سنة ١٩٦٧م .

ويمكننا أن نقول إن العمل التاريخى لمؤرخى الشام فى ذلك الوقت ، كان محدوداً زمانا ومكانا ، فهم بين سيرة رجل او دولة أو تعليق تاريخى أو التأريخ لمدينة أو أسرة ، حتى إذا ما وصلنا إلى ما بين أواسط القرن السادس الهجرى ، فإننا نجد المشاريع التاريخية الكبرى وأصحابها ، قد بدأت تظهر ، فوجدنا مثلا ابن عساكر ومجلداته الثمانين فى تاريخ دمشق ، ثم بعد فترة غير طويلة ظهر ابن أبى طى ومؤلفاته الكثيرة فى التاريخ ، وياقوت صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء ... (١) .

ووجدنا أيضا سبط ابن الجوزى بتاريخه العام ذى العشرين مجلدا أو يزيد وابن العديم بتاريخه ذى المجلدات الأربعين (بغية الطلب فى تاريخ حلب) .

ومن هنا يمكننا أن نقول ، إنه فى المائة سنة الأخيرة ، ظهرت المشاريع التاريخية التى كانت تنافس تاريخ بغداد فى دمشق وفى حلب ، والتى كانت تنافس أيضا تاريخ الطبرى ، وابن الأثير بتاريخ عام مماثل .

وظهرت أيضا المعاجم التاريخية الكبرى ، ليشكل كل أولئك قفزة كبيرة ، وفوق العادة فى طموح المؤرخين الشاميين ، الذين كانت مشاريعهم التاريخية محدودة وصغيرة .

ومما لا شك فيه ، أن سبب ذلك أو الجانب الأكبر من الأسباب التى أدت إلى ذلك ، إنما يرجع إلى عودة الحياة السياسية إلى بلاد الشام بأجمعها ، وظهور

---

(١) سوف أتحدث عن هؤلاء المؤرخين بالتفصيل فى هذا البحث أيضا ، عند التعريف بكبار المؤرخين فى مصر والشام فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى .

سلطات فيها تجذب اهتمام الناس وانتباههم وإعجابهم فى نفس الوقت كما تدفع إلى الهجرة إليها والعيش معها ومع الأحداث الكبرى التى تحدث وتألقها .

ونتيجة للتحدى الصليبى الخطير ، الذى فرض نفسه على الساحة فى العالم الإسلامى آنذاك اتجهت مشاريع التأريخ الشامى ، إلى التضخم فى أواخر هذه الفترة (القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) وذلك فى ميدانين : تواريخ المدن ، والتواريخ العامة ، فأما فى تواريخ المدن فقد تركز الانتباه على مدينتى (دمشق وحلب) وكان هذا تعبيرا عن الدور الضخم الذى كانت كل من المدينتين تلعبه ضد التحدى الصليبى فى تلك الأوقات .

وأما التواريخ العامة ، فقد كانت فى الوقت نفسه تعبيرا عن شعور الشام أيضا بارتباطها مع العالم الإسلامى ، وارتباط العالم الإسلامى بها خلال تلك الحروب ، وعن اتصالها أيضا بالتاريخ الإسلامى كله فى الوقت الذى تدافع عن حاضره ... (١) .

ويمكننا أن نقول إن من أسباب الاتجاه إلى اليقظة الإسلامية والتأريخ من جانب المؤرخين فى الشام بين القرنين السادس والسابع الهجريين هو أن هذه المنطقة أصبحت مركزا للاهتمام السياسى والاقتصادى والفكرى فى العالم الإسلامى فى ذلك الوقت .

كما أنه كان للوضع السياسى السائد فى ذلك الوقت فى العالم الإسلامى ،

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص٢٢١ دار العلم للملايين ط٣ سنة ١٩٨٧م .

دوره فى أن يجذب العلماء إليه ، فقد كانت سمعة نور الدين وصلاح الدين الأيوبى من بعده ثم السلطان العادل ، تجذب العلماء من كل مكان إلى الشام ، ومن ثم كانت الدولة السياسية التى تمركزت فى الشام ومصر تمثل بالنسبة للمسلمين كافة ، نوعا من اليقظة الإسلامية الشاملة ، كما تدفع العلماء والمؤلفين فى الاتجاه نفسه للأمل فى مجد إسلامى أكبر ... (١) .

ومن هنا وجدنا عددا كبيرا من التواريخ العامة الضخمة التى ألفت فى النصف الأول من القرن السابع فقط ما بين حلب ودمشق .

ولذلك فإن القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، كان من أكثر القرون كثرة فى التأليف التاريخى على اختلاف موضوعاته وتنوعها .

وقد أحصى الدكتور شاكر مصطفى عدد المؤرخين فى مائة عام (من منتصف القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الهجرى) فبلغ عددهم نحو ثلثمائة وعشرين مؤرخا ، كتبوا ما يزيد على ستمائة كتاب فى التاريخ ، وهو يقصد هنا مصر والشام والعراق وغيرها - وظهر فى هذه الفترة ابن الجوزى ، والعماد الأصبهانى ، والقفطى والسمعانى ، وابن أبى أصيبعة ، وابن حمدون ، وأبو شامة والقادسى ، وابن ظافر الأزدى وابن قدامة ، وابن اللباد ، وابن اسفنديار ، وابن نظيف ، وابن أبى الدم وغيرهم ... (٢) .

ويمكن القول إن ذلك العدد الضخم من المؤرخين ومؤلفاتهم ، إنما كان نوعا من الاستجابة للتحدى الحضارى للأمة الإسلامية ، ومن اليقظة ضد الأخطار التى كادت فى تلك الفترة تسحق منطقة الشرق الإسلامى كلها .

ولكى يكتمل بحثنا هذا فمن المهم ، أن نقوم بالتعريف بكبار المؤرخين فى مصر والشام فى ذلك القرن ، بالتعريف بمؤلفاتهم بشكل موجز ، لأن ذلك يعتبر تطبيقا عمليا للكلام السابق فى الصفحات السابقة .

---

(١) المصدر السابق : ج٢ ص ٢٢١ .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

الفصل الثانى
التعريف بكبار المؤرخين
فى مصروسوريا
خلال القرن ٧هـ / ١٣م

تعريف بكبار المؤرخين فى مصر والشام
فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى

ظهر فى مصر والشام فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، عدد كبير من المؤرخين الذين كانوا يمثلون كلا من المدرسة المصرية والمدرسة الشامية فى ذلك الوقت ، وكانوا يمثلون أيضا نهضة التأليف والحركة التاريخية فى مصر والشام ، وكان هؤلاء المؤرخون من كبار المشتغلين فى مجال التاريخ وغيره من العلوم الأخرى ، وكانت لهم مؤلفات عديدة .

وقد كان القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى من أكثر القرون نهضة فى علم التاريخ حيث زاد الاهتمام به ، وظهرت مصنفات عديدة فيه ، مثلت فى ذلك الوقت مدرسة مصر التاريخية ومدرسة الشام أيضا .

ومن هنا كان اهتمامنا بمعرفة كبار مؤرخى هذا القرن فى مصر والشام ، مهتمين فى ذلك بالتعريف بهم وبمؤلفاتهم التاريخية فقط ، دون البحث فى هذه المؤلفات أو فى منهجها التاريخى ، ولذا سنكتفى فقط بالتعريف بالمؤرخ من حيث الترجمة له عن مولده ونشأته ومؤلفاته بصورة عامة ، وبإيجاز مفيد ومختصر .

وسنبدأ بالتعريف بكبار المؤرخين فى مصر أولا ، ثم ننتقل بعد ذلك لمؤرخى الشام أيضا ، وسنحاول بقدر الإمكان التعريف بالمؤرخين حسب ترتيب وفاتهم أى سنراعى أن يكون هناك نوع من التسلسل التاريخى حسب الوفاة .

أولاً : مؤرخو مصر :

تميز كل من العصر الأيوبي والمملوكي في مصر ، بظهور مجموعة من كبار المؤرخين ، وقد تفاوتت حظوظهم من حيث الشهرة ، ومن حيث بقاء الإنتاج ، ومن حيث ضخامته ، ولكنهم كونوا العمود الفقرى لهذا العلم (رغم قلتهم) كما كانت كتبهم مرآة للعصر ، وبأقلامهم كتبت صورته ومنهم :

١- ابن ظافر الأزدى ت سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م

وهو جمال الدين أبو الحسن على بن ظافر الأزدى الخزرجى ، ولد بمصر سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م وخلف أباه فى التدريس بالمدرسة القمحية المالكية بالقاهرة ، وعمل بعد ذلك للملك الأشرف ، ولكن عاد إلى بلده سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م ، وتوفى بالقاهرة فى منتصف شعبان سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ... (١)

أما مؤلفاته فمنها :

- أخبار الدول المنقطعة ، وقد رتب فيه على السنين أخبار عدد من الدول الإسلامية كالحمدانية والسلجوقية والطولونية والإخشيدية وأخبار الدولة الفاطمية فى إفريقيا ومصر ، وقد طبع فى مصر سنة ١٩٧٤م .
- أخبار الدولة السلجوقية ولعله جزء من الكتاب السابق .
- وبدائع البداءة وهو يضم ألوان الحكايات التى انتشرت بعضها فى كتب

(١) كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص٢٦ ، ٢٧ ، نقله إلى العربية د. السيد يعقوب بكر وراجع الترجمة د . رمضان عبد التواب ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م .

التاريخ والأدب كالأغانى والعقد الفريد والزخيرة والعمدة وغير ذلك .

- أخبار الشجعان ويبدو أنه كتاب تاريخى أيضا ومنه نسخة مخطوطة بالمتحف البريطانى بلندن وله مؤلفات أخرى ضائعة ... (١) .

٣- المنذرى ت سنة ٦٥٦هـ/ ١٣٥٨ م .

أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى زكى الدين المنذرى ، ولد بمصر فى غرة شعبان سنة ٥٨١هـ / ١١٥٨م ، وسمع بمكة ودمشق وحران والرها والإسكندرية ، ثم درس فى الجامع الظافرى بالقاهرة ، وولى مشيخة الشافعية فى دار الحديث الكاملية نحو عشرين سنة، وتوفى رابع ذي الحجة سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ... (٢)

له مؤلفات عديدة يغلب عليها بتراجم رجال الحديث وأشهرها كتابه " التكملة لوفيات النقلة " ... (٣) .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص١٩٤ ، ١٩٥ ط دار العلم للملايين - بيروت ط١ سنة ١٩٧٩م ، ط٣ سنة ١٩٨٧م .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص٢٥٦ ، ٢٥٧ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م .

(٣) كلمة التكملة أو الذيل آتية من التعليق على كتاب سابق ، وهذه الظاهرة منتشرة فى عدد من العلوم الأسلامية وبخاصة فى التاريخ والأدب لما فيهما من إمكان الإضافة إليهما مع الأيام ، ووفيات النقلة سلسلة بدأها أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن زيد الربعى الدمشقى (المتوفى سنة ٣٧٩هـ) ابتداه من الهجرة ووصل به إلى سنة ٣٣٨هـ، ثم سارعلى الكتاب سلسلة من الذيول بلغت أكثر من تسعة ، فقد ذيل عليه أولا الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتانى الدمشقى الصوفى (المتوفى سنة ٤٦٦هـ) إلى قريب وفاته ، ثم ذيل عليه تلميذه الأكفانى (المتوفى سنة ٥٢٤هـ) نحو عشرين سنة وسماه " جامع الوفيات"، ثم ذيل على الأكفانى شرف الدين أبو الحسن على بن المفضل المقدسى الإسكندرانى الحافظ الكبير (المتوفى سنة ٦١١هـ) ووصل به حتى سنة ٥٨١هـ وسماه " التكملة لوفيات النقلة " الذى استثار من بعده أيضا ذيولا أخرى انظر :

(شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ج٣ ص ١٠٦ ط دار العلم للملايين ط١ سنة ١٩٩٠م)

ولهذا الكتاب مخطوطات عديدة منها فى دار الكتب المصرية مخطوط برقم ١٢٥ " مجاميع " ونشرها الباحث بشار عواد معروف فى ستة أجزاء سنة ١٩٧٦، وهذا الكتاب تضمن مجموعة ضخمة من نقلة الحديث ، فيهم المحدثون والكتاب والأدباء والمؤرخون والشعراء والمتصوفة والفقهاء والزهاد والمدرسون والقراء والقضاة والأطباء والتجار والملوك والوزراء والأمراء ، ولو أن نصيب المحدثين هو الأكثر

والمؤرخ المنذرى يعتبر حافظ الوقت ، وحافظ عصره دون منازع ، وإماما حجة ثبتا ورعا فيما يقوله أو ينقله ، وناقدا ماهرا فى علم الجرح والتعديل بارعا فى علم الرجال والإفتاء ، وواسع الاطلاع على الأدب ، ومكثرا من رواية الشعر ، هذا إلى جانب الزهد والورع والتصوف .

ومن مؤلفات المنذرى الأخرى : الإعلام بأخبار شيخ البخارى محمد بن سلام السلمى المحدث المتوفى سنة ٢٥٥هـ ، وترجمة أبى بكر الطرطوشى ، وتاريخ من دخل مصر أو تاريخ مصر ، والمعجم المترجم ، ومختصر تاريخ مصر للمسبحى المتوفى سنة ٤٢٠هـ ، ولكن ليست كل هذه المؤلفات موجودة فقد فقد بعضها ... (١) .

٣- المكين بن العميد ت سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م

وهو جرجيس (أبو عبد الله) بن أبى اليسر بن أبى المكارم المكين بن العميد ، ولد بالقاهرة سنة ٦٠٢هـ / ١٢٠٥م لموظف نصرانى بديوان الحرب ، وشغل وهو شاب وظيفة مماثلة ولما فقد ولى أبيه والى سوريا علاء الدين طيبرس ، حظوته لدى السلطان دعى جميع موظفى ديوانه إلى مصر وفيهم أبى اليسير وابنه ، فوضعوا هناك فى السجن وتوفى الأب سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م .

(١) المصدر السابق : ص ١٠٦ ، ١٠٩ .

غير أن الابن لم يلبث أن استعاد حريته ووظيفته فى سوريا ، وبعد أن ثارت حوله الشبهات فى سوريا ذهب إلى دمشق معتكفا وتوفى سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م ...(١) .

ومؤلفه يحمل اسم " تاريخ ابن العميد " كما يحمل عنوان " المجموع المبارك" و " التاريخ الجامع " ، وهو فى أخبار العالم من أول الخليقة إلى عهد الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م ، فهو تاريخ عالمى وقد جعله قسمين :

* **القسم الأول :** من أول الخليقة إلى ظهور الإسلام ، اختصر فيه التواريخ وذكر ما حدث للأمم وذكر قصص الأنبياء وملوك النصارى الروم إلى ظهور الإسلام .

* **القسم الثانى :** من ظهور الإسلام إلى سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م وسماه " تاريخ المسلمين " ، وقد ترجم كتابه إلى عدة لغات ... (٢) .

٤- ابن ميسر سنة ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م

وهو تاج الدين محمد على بن يوسف بن جلب راغب المعروف بابن الميسر ، القاضى الفاضل توفى سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م ... (٣) .

والمعلومات عن هذا المؤرخ قليلة جدا وهى تذكر أنه مؤرخ فاضل وبارع ، له تصانيف عديدة وأنه دفن فى المقطم ومن مؤلفاته فى التاريخ :

كتاب فى قضاة مصر ، ولا نعلم شيئا عنه .

---

(١) كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربى ص ١٤٤ ، ١٤٥ ط سنة ١٩٧٧م - دار المعارف .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ج٢ ص ١٠٩ ، ١١٠ ط دار العلم للملايين - بيروت ط١ سنة ١٩٩٠م .

(٣) كارول بروكمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص٩٠ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م .

وكتاب فى تاريخ مصر أو أخبار مصر ، وهو تاريخ على السنين فى مجلدين، ذيل به ابن الميسر على تاريخ المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م .

وقد ضمت المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة باسم " أخبار مصر " لابن ميسر رقم ١٦٦٨و ، وقد طبع المنتقى من تاريخ ابن ميسر مرتين فى مصر :

* **الأولى :** تحقيق ويليام ميلورد المستشرق الكندى " الهيئة العامة للكتاب " سنة ١٩٨٠م .

* **الثانية :** تحقيق أيمن فؤاد سيد " المعهد الفرنسى " سنة ١٩٨١م ... (١)

ثانيا : مؤرخو الشام :

١- ابن شاهنشاه ت سنة ٦١٧هـ / ١٢١٨م

وهو الملك المنصور أبو المعالى محمد بن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولد سنة ٥٦٧هـ و توفى سنة ٦١٧هـ ... (٢) .

تولى بعد موت أبيه سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م ملك حماة والمعرة وسلمية وما حولها ، وعلى الرغم من أنه كان فى حرب تكاد تكون مستمرة مع الصليبيين ، كان فى بلاطه يولى العلوم رعاية كبيرة ، وتوفى قلعته بحماة فى شهر ذى القعدة سنة ٦١٧هـ ومن مؤلفاته :

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٣ ص١١١ دار العلم للملايين .

وعن المؤرخ ابن الميسر انظر ايضاً : حاج خليفة : كشف الظنون ج٤ ص ٣٠٤ .

- على إبراهيم حسن : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى العام وفى التاريخ المصرى الوسيط ص ١٥٤ ط٣ سنة ١٩٨٠م - مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

(٢) أبو شامة : المذيل ص١٢٤ .

– " أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك " فى طبقات الشعراء المتقدمين من الجاهلية والمخضرمين حتى عصره فى شبه معجم ... (١) .

– " كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق " وهو كتابه التاريخى الكبير ، ولا نملك منه سوى جزء قليل مابين سنتى ٥٧٥هـ ، ٥٨٢ هـ فقط ، وقد قام بتحقيقه حسن حبشى بالقاهرة سنة ١٩٦٨م ... (٢)

٣- ياقوت الحموى ت سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م

وهو أبو عبد الله ياقوت بن الرومى الحموى المولد ، والبغدادى الدار ، الملقب بشهاب الدين ، أسر من بلاده صغيرا وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبى نصر إبراهيم بن أبى نصر الحموى ، وجعله فى الكتاب ، لينتفع به فى ضبط تجارته ، وكان مولاه عسكر لا يحسن الخط ولا يعلم شيئاً سوى التجارة ، ولما كبر ياقوت قرأ شيئا من النحو واللغة وشغله بالأسفار فى متاجرة ، فكان يتردد إلى كيش وعمان وتلك النواحى ويعود إلى الشام ... (٣) .

وهكذا استطاع ياقوت أن يكسب رزقه ، وخاصة عندما جعل بعض تجارته كتبا وهذا ما فتح له باب الاطلاع أيضا ، ولكن كان ياقوت متعصبا على على بن

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص٤٣ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م .

(٢) ابن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق تحقيق حسن حبشى / انظر المقدمة الكاملة للمحقق – عالم الكتب سنة ١٩٦٨م .

وعن ابن شاهنشاه انظر أيضا :

– أبو الفداء : المختصر فى أخبار ج٣ ص١٢٥ ، ١٢٦ طبع مكتبة المتنبى بالقاهرة .

– على إبراهيم حسن :استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى ص١١٧ ، ١١٨ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٢ ص ٣١١ ط حسن عوان .

أبى طالب (رضى الله عنه) حيث كان قد طالع شيئا من كتب الخوارج ، فاشتبك فى ذهنه منه طرف قوى .

وتوجه إلى دمشق فى سنة ٦١٣هـ / ١٢١٥م وناظر بعض من يتعصب لعلي (رضى الله عنه) وجرى بينهما كلام أدى إلى ذكره عليا (رضى الله عنه) مما لا يسوغ ، فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه ، فسلم منهم وخرج من دمشق منهزما ، وتنقل فى البلاد ، وارتحل إلى حلب ، وأقام بظاهرها فى الخان إلى أن مات سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ... (١) .

ومن أشهر مؤلفاته : معجم الأدباء واسمه الأصلى

" إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب " وقد طبع فى عشرين جزءا ، ويعرف أيضا بطبقات الأدباء ، وله طبقتان معروفتان ناقصتان .

ومعجم البلدان وهو موسوعة تاريخية على حروف المعجم فى قرابة أربعة آلاف صفحة، قد طبع كثيرا ، وهو فى معرفة المدن والقرى وغيرها .

وله كتابان فقد كل منهما (كتاب الدول وكتاب المبدأ والمال) وإن بقى كتاب جغرافى آخر مطبوع بعنوان " المشترك وصفا والمفترق صعقا " .

وقيمة ياقوت ترجع إلى المادة الجغرافية التاريخية حتى عصره وتنوعها ومعلوماته الجغرافية والسياسية لعصره ... (٢) .

٣- ابن أبى طى ت سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م

وهو منتجب الدين أبو زكريا بن حاق أو حميدة النجار بن ظافر بن على بن

---

(١) المصدر السابق : ص ٣١٢ .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ج٢ ص ٢٥٠ ، ٢٥١ ط دار العلم للملايين ط١ سنة ١٩٧٩م ، ط٣ سنة ١٩٨٧م .

عـبـد الله الغـسـانى الحلبى ، ولد سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩م وتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م ... (١) .

ولا نعرف عن هذا المؤرخ الشيعى شيئا ما أكثر من أن تاريخه يعتبر من أهم مصادر الدولة الفاطمية فى العصر الأخير من عصورها ... (٢) .

وللأسف لم يبق من إنتاجه التاريخى الكثير أى كتاب ، وكل ما بقى لنا منه هو تلك الكتابات المتفرقة فى كتب المؤلفين الذين جاءوا من بعده .

عاش ابن أبى طى ودرس على أبيه وغيره من علماء حلب : البلاغة والتصوف واللغة والأسلوب ، ومن أهم مؤلفاته :

- " كتاب معادن الذهب فى تاريخ الملوك والخلفاء وذوى الرتب " .
- " كتاب حوادث الزمان على حروف المعجم " وهو موسوعة لمعارف التاريخ.
- " وذيل معادن الذهب " وهو تتمة لتاريخه العام الأساسى .
- " كنز الموحدين فى سيرة صلاح الدين " ومنه مقتطفات عديدة لدى أبى شامة .
- " تاريخ مصر " ولعله اهتم فيه خاصة بالتاريخ الفاطمى .
- " سلك النظام فى تاريخ الشام " .
- " سيرة ملوك حلب " .
- " مختار تاريخ المغرب " ، ومؤلفات أخرى عديدة ضائعة ... (٣) .

هذا ويعـتـبـر ابن أبى طى الحلبى ، من أهم مـصـادر كـتـاب الروضـتين لأبى شامة على الرغم من إغفال أبى شامة فى مقدمته ، ذكر المصدر الذى اعتمد عليه

---

(١) المصدر السابق : ج٢ ص ٢٥٢ ط٣ سنة ١٩٨٧م .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٣) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص٣٥٢ .

من مؤلفات ابن أبن طى، بل وإهماله ذكر ابن طى بين مصادره إهمالا تاما ... (١) .

٤- ابن نظيف الحموى ت سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م

وهو محمد بن على بن عبد العزيز بن بركات الحموى ، ألف فى النصف الثانى من القرن السابع (مختصر سير الأوائل والملوك ووسيلة العبد المملوك) وهومختصر فى تاريخ ما قبل الإسلام ، وتاريخ الإسلام إلى الخليفة المهتدى ، وله أيضا التاريخ المنصورى " تلخيص الكشف والبيان فى حوادث الزمان " ... (٢) .

ويقول عنه شاكر مصطفى : " وهو من طبقة الكتاب كان كاتبا للملك الحافظ الأيوبى صاحب قلعة جعبر ، وقد غضب عليه وسجنه سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م ، فلما خرج من السجن، عمل فى خدمة الملك المنصور صاحب حمص ، وله كتاب مختصر أهداه لملكه صاحب حمص وسماه باسمه (وقد ذكرته سابقا) .

وقد طبع هذا الموجز التاريخى مصورا عن الأصل فى موسكو سنة ١٩٦٠م ، ولا تكشف أقسامه الأولى أى أصالة ، لأنها تكاد تكون نقلا مع بعض التعديل القليل عن تاريخ العظيمى ، غير أن أقسامه الأخيرة ، المتعلقة بالتاريخ الأيوبى بعد صلاح الدين هي التى تأتى بالجديد ، لاعتمادها على محفوظات الدولة من وثائقها وعلى العديد من المعلومات الشخصية الأصيلة ... (٣) .

---

(١) د . حسين عاصى : المؤرخ أبو شامة ص ١٧٤ ، ١٧٥ ط١ سنة ١٩٩١م – بيروت – لبنان .

(٢) كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص ١٥٠ دار المعارف سنة ١٩٧٧م .

(٣) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص ٢٥٥ ، ٢٥٣ ط دار العلم للملايين – بيروت ، وكتاب " التاريخ المنصورى " لا يزال مخطوطا ، وقد نشر المستشرق الروسي بطرس غريازنيويج صورة طبق الأصل لهذه المخطوطة بموسكو سنة ١٩٦٠م ، مع مقدمة بالروسية وفهارس عامة ، دون تدخل فى المتن فى مجلد واحد، ونشر الجزء الأخير منه من سنة ٥٨٩ – ٦٣١هـ د. أبو العيد دودو محققا بدمشق سنة ١٩٨١م ، انظر فى ذلك
– ابن نظيف الحموى : التاريخ المنصورى تحقيق أبو العيد دودو (المقدمة) حيث توجد ترجمة لابن نظيف، مطبعة الحجاز بدمشق سنة ١٩٨١م .

٥- ابن أبى الدم ت سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م

ويقول عنه الحسينى فى صلة التكملة لوفيات النقلة : " وفى النصف من جمادى الآخرة - سنة ٦٤٢هـ - توفى القاضى المعروف بابن أبى الدم .... (١) .

وهو أبو أسحاق إبراهيم بن عبد المنعم شهاب الدين بن أبى الدم الهمزانى الحموى ، ولد بحماة فى الحادى والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، وأخذ العلم فى بغداد ثم اشتغل بالتعليم فى حلب والقاهرة إلى أن صار قاضيا للشافعية فى بلده .

ولما توفى الملك المظفر غازى ملك ميافارقين سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م ، أرسله الملك المنصور ملك حماة ، على رأس بعثة إلى الخليفة المستعصم ببغداد ، ليعهد إليه بملك تلك المنطقة الشاغرة (ميافارقين) وفى طريقه إلى بغداد ألم به المرض واضطر إلى أن يعود من معرة النعمان إلى حلب حيث توفى فى منتصف جمادى الآخرة من السنة نفسها سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م ... (٢) .

ومن أهم مؤلفاته التاريخية : التاريخ المقفى ، وترجم فيه للفقهاء والمحدثين والنحاة وغيرهم .

والتاريخ المظفرى ، وقد أهداه لصاحب حماة الملك المظفر الأيوبى وجعله باسمه وهو عبارة عن كتابين أحدهما كبير ، وهو باسم المظفر أمير ميافارقين ، أما الكتاب الثانى فهو صغير ، ومختصر للأول .

الشماريخ فى التواريخ ، ويبدو أنه تاريخ إسلامى عام ، مختصر عن التاريخ المطول .

---

(١) الحسينى : صلة التكملة لوفيات النقلة ج٢ ورقة رقم١٦- مخطوط بمعهد المخطوطات العربية تحت رقم ٢٩٨ .

(٢) كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص ١٣٨ - ١٣٩ ط دار المعارف .

وله كتاب الفرق الإسلامية وهو ضائع ... (١) .

٦- القفطى ت سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م

أبو الحسن على بن إبراهيم الشيبانى القفطى جمال الدين القاضى الأكرم ، ولد فى قفط بصعيد مصر سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م لأسرة رفيعة من الموظفين أصلها من أرض الكوفة، وأتى القاهرة مع أبيه ، وفى سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ذهب مع أبيه إلى بيت المقدس حيث ناب أبوه عن القاضى الفاضل فى ديوان الإنشاء .

وسنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م خرج مع والى القدس ونابلس فارس الدين ميمون إلى حلب ، ودخل معه فى خدمة الملك الظاهر ، فعمل أولا كاتبا لميمون وبعد وفاته سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م تولى أمور الخزانة ، وبعد موت الظاهر سنة ٦١٣هـ / ١٢١٦م ترك منصبه ثم تولاه مرة ثانية سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م وظل يصرف الأعمال حتى موته فى الثالث عشر من رمضان سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م ... (٢) .

كان لجمال الدين غرام شديد بالكتب ، فكانت تحمل إليه من الأوقاف وجمع منها مالا يوصف ، وأكثر كتب القفطى فى التاريخ ، كتاريخ القاهرة ، وتاريخ اليمن وتاريخ المغرب ، وتاريخ السلاجقة .

غير أن الباحثين لا يكادون يعرفون له غير الكتب الآتية :

إنباه الرواة على أنباه النحاة ، وأخبار مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين الأيوبى ، ولم يصلنا من كتب القفطى غير كتابه " إخبار العلماء بأخبار الحكماء " وهو معجم تاريخى للفلاسفة ، والأطباء والعلماء من العرب وغيرهم ، مر بتين فى هذا الكتاب على حروف الأبجد .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ط العلم للملايين ، وانظر أيضا : الذهبى : سير أعلام النبلاء ج٢٣ ص ١٢٥ - بيروت سنة ١٩٩٠م

(٢) كارل بروكمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م

وتنحصر أهميته فى أنه يرينا صورة من علم العرب بمؤلفات الإغريق ، وفى نهاية الكتاب يتحدث المؤلف عن حكماء تبتدئ أسماؤهم بالكنيى : كأبى على بن سينا وغيره ... (١) .

٧- سبط بن الجوزى ت سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م

وهو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلى بن عبد الله سبط بن الجوزى ، ولد ببغداد سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٦م وكان أبوه مملوكا تركيا للوزير ابن هبيرة (المتوفى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) فأعتقه وأمر بتعليمه ونشأ فى كنف ابن الجوزى جده لأمه ، وقد ورث الحفيد عن الجد موهبة الوعظ العزب والذوق التاريخى.

وبعد أن أتم دراسته فى بغداد ، مضى يجوب الآفاق ، إلى أن استقر فى دمشق حيث اشتغل بتعليم الفقه الحنفى والوعظ ، وقد دعا سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م إلى الجهاد ضد الصليبيين ، فكان لدعوته نجاح كبير وتوفى بدمشق سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م ... (٢) .

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ٣٠٥ ، ٣٠٦ دار الفكر العربى ، وانظر أيضا :

د . أحمد رمضان أحمد : تطور علم التاريخ الإسلامى حتى نهاية العصور الوسطى ص ٢١٢ - ٢١٣ ط سنة ١٩٨٩م - الهيئة المصرية العامة للكتاب .

القفطى : إنباه الرواة على أنباه النحاة ج١ ص٩ - ٣٠ حيث توجد ترجمة للمؤلف ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط١ سنة ١٩٨٦م - نشر مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت - دار الفكر العربى بالقاهرة .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص ١٤٠ ، ١٤١ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م

ويقول عنه المؤرخ أبو شامة : " كان فاضلا مواظبا على المطالعة والاشتغال والجمع والتصنيف ، منصفا لأهل العلم وربى طول زمانه في جاه عريض عند الملوك والعوام نحو خمسين سنة ... (١) ، من مؤلفاته التاريخية :

كتاب " مرآة الزمان في وفيات الفضلاء والأعيان " وهو تاريخ عام ، لكن فترة ما قبل الإسلام لا تأخذ منه إلا أيسر الحيز ، وقد نظم على أساس حولي ، ولكن ذكرت فيه التراجم والوفيات في أعقاب الحوادث سنة بعد سنة .

وقد اختصر اليونيني أحد المؤرخين في أوائل القرن الثامن بعض المطولات في الكتاب (وتوفي اليونيني سنة ٧٢٦هـ) كما اختصره أيضا من بعده عدد من المؤرخين المتأخرين .

ولسبط مؤلفات أخرى مثل " خصائص الأئمة " ، و " الجليس الصالح والأنيس الناصح " وكتب أخرى كلها ضائعة ... (٢) .

٨- ابن العديم ت سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م

يقول عنه أبو شامة في أحداث سنة ٦٦٠هـ " وجاءنا الخبر من مصر بوفاة الصاحب كمال الدين عمر بن جراد الحنفي المعروف بابن العديم ، كان فاضلا متواضعا ، حسن المحاضرة كثير الإفادة " ... (٣)

---

(١) أبو شامة : المذيل ص ١٩٥ دار الجيل - بيروت .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربي المؤرخون ج٢ ص٢٦١ - ٢٦٣ ط دار العلم للملايين ط٣ سنة ١٩٨٧م . وانظر أيضا :

علي إبراهيم حسن : استخدام المصادر وطرق البحث ص ١١٠ سنة ١٩٨٠م .

سبط بن الجوزي : مرآة الزمان (مقدمة د . إحسان عباس الطويلة للجزء الأول منه) ط١ دار الشرق سنة ١٩٨٥ م .

(٣) أبو شامة : المذيل على الروضتين ص ٢١٧ ط بيروت .

نشــأ ابن العـديم وتعلم فى حلب ، على والده وعمــه وغيـرهمــا من العلمـاء ، ورحل إلى دمـشق وفلسطين وكان مـؤرخا مـحدثا ، وكـان فى كل مكان يزوره يلقي الحفاوة من رجال السلطة ، وكان فى الوقت نفسه يلتقى بالعلماء وشيوخ العصر ، فيأخذ عنهم ولقد أودع ما أخذه عن علماء عصره وما رآه من أحداث أو شارك به ، فى كتابه بغية الطلب حتى غدا هذا الكتاب أشبه بمنجم للمعلومات لا ينضب معينه ... (١) .

وترك ابن العديم مؤلفات كثيرة ، لكنها تتصل جميعا ببلدته حلب ، فهو مؤرخ إقليمى بلدانى مثل ابن عساكر وأبرز مؤلفاته :

" بغية الطلب فى تاريخ حلب " - الذى ذكرناه سابقا - وقد اختصره وذيل عليه عدد كبير من المؤرخين .

" زبدة الحلب فى تاريخ حلب " وهو مختصر لكتابه السابق ذكره ، وله كتب أخرى عديدة ولكنها ضاعت إلا بعض أجزاء منها ... (٢) .

ولما فتح التتار حلب وخربوها سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م فر ابن العديم مع الملك الناصر إلى مصر ، وعندما عينه هولاكو قاضيا على الشام عاد إلى هناك بعد قليل وتوفى بالقاهرة فى السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م ... (٣)

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب تحقيق د . سهيل زكار ص ١١ ، ١٢ حيث توجد ترجمة عن ابن العديم من ص ٨ - ١٣ للمحقق ط دمشق سنة ١٩٨٨م .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ ط دار العلم للملايين بيروت ط ٣ سنة ١٩٨٧م .

(٣) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص ٧٥ - ٧٨ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م ، وانظر أيضا :

ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ص ١١ ت . سامى الدهان ج٣ من مقدمة المحقق .

٩- أبو شامة ت سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م

وهو عبد الرحمن بن اسماعيل ، ولد بدمشق سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٣ م وأشهر مؤلفاته كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية والمذيل عليه ، وتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧م (١)

١٠- ابن أبى أصيبعة ت سنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م

وهو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبى أصيبعة بن خليفة السعدى الخزرجى ، ولد بعد سنة ٥٩٠هـ / ١١٩٤م و بدمشق ، حيث كان أبوه طبيبا للعيون درس الطب فى بلده دمشق وفى البيمارستان الناصرى بالقاهرة ، وكان لابن البيطار الطبيب وعالم النبات المشهور فضل فى تشجيعه ، وذهب سنة ٦٣٢هـ إلى البيمارستان النورى بدمشق ثم ذهب سنة ٦٣٤هـ إلى صفد ، ليعمل طبيبا للأمير عز الدين بن عبد الله ، وهناك توفى جمادى الأولى سنة ٦٦٨ هـ / ١٢٧٠ ... (٢) .

وقد وضع ابن أبى أصيبعة مؤلفا ضخما ، قدمه لبعض وزراء الأيوبيين بعد أن قضى السنين الطوال فى جمع مادته ، وتحقيق أخباره هو " عيون الأنباء فى طبقات الأطباء " وهو بين كتب الفلاسفة الأطباء ورجال الحكمة أوفرها مادة وأوسعها أخبارا ، أورد فيه حوالى أربعمائة ترجمة ، بدأها بمقدمة عن تاريخ الطب وأهله ، وقد لفت كتابه الأنظار منذ زمن بعيد ، وبعد أن طبعه المستشرقون ، طبع فى المشرق أكثر من مرة ، فهو أكبر مرجع فى تاريخ الطب عند العرب .

---

(١) عن أبى شامة ومؤلفاته ومنهجه انظر :
ابراهيم فرغلى : المؤرخ السورى أبو شامة دراسة فى المؤلفات والمنهج .

(٢) كارل برروكلمان : تاريخ الأدب العربى ج٦ ص ٤٩ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م .

ومن مؤلفاته الأخرى : المختار من عيون التاريخ ، ومعالم الأمم وأخبار ذوى الحكم ولكن الكتابين ضائعان ... (١) .

١١- ابن خلكان سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م

* وهو شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان البرمكى الإربلى الشافعى ، ولد بإربل سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١م ، وبعد أن تلقى تعليمه الأول فى بلده ذهب سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م إلى الموصل فى حلب .

* وفى سنة ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م ذهب إلى الإسكندرية والقاهرة وبعد ذلك بقليل تولى النيابة عن القاضى يوسف بن الحسن السنجارى ، وبعد أن اشتغل بالتأليف بضع سنين تولى فى سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م منصب قاضى الشام بدمشق ، وفى شهر المحرم سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨١م عزل من منصبه ، وتوفى سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م وهو أستاذ بالمدرسة الأمينية .... (٢) .

ومن أشهر كتبه ، أو لعله الكتاب الوحيد له " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " وهذا الكتاب يعد من أهم المصادر فى التراجم والتاريخ الأدبى ، وهو عبارة عن معجم تاريخى ، وعدد تراجمه أربى على ثلثمائة ترجمة ويمتاز هذا

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربي والمؤرخون ج٢ ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ - بيروت - دار العلم للملايين سنة ١٩٨٧م ط٣ ، وانظر أيضا :

ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء - المقدمة - تحقيق د . نذار رضا - نشرا دار مكتبة الحياة - بيروت سنة ١٩٦٥ م .

على إبراهيم حسن : استخدام المصادر البحث فى التاريخ الإسلامى ص ١٥٥ ط ٣ سنة ١٩٨٠ .

ابن تغردى بردى : النجوم الزاهرة ج٧ ص ٢٩٩ ، طبعة دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى - تراثنا .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ج٦ ص ٤٩ ، ٥٠ طبعة المعارف سنة ١٩٧٧ م .

الكتاب بميزات منها :

* **أولا** : أنه ترجم للعلماء والأدباء أكثر مما ترجم للملوك .

* **ثانيا** : أنه تحرى الدقة فى تحقيق الأعلام وضبطها وتقييدها بالحركة ليسهل نطقها ، واستوثق من سنى الميلاد والوفاة .

ولم يخلف ابن خلكان غير هذا الكتاب ، ولكنه يساوى المئات من الكتب ، فهو ذخيرة علم وأدب وتاريخ ولغة ... (١) .

١٢- ابن واصل ت سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م

جمال الدين بن سالم بن واصل أبو عبد الله العمرى ، ولد سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٧م ، وتعلم بحماة فقه الشافعية والفلسفة والرياضيات والفلك ، وفى سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦١م دعى إلى القاهرة وأرسله السلطان بيبرس رسولا إلى بلاط الملك ما نفرد بن فردريك الثانى بصقلية، فأقام عنده زمنا طويلا ، وبعد عودته صار كبيرا للقضاة وأستاذا بالمدرسة العالية فى حماة، وتوفى فى الثامن والعشرين من شوال سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م ... (٢) .

وقد طوف ابن واصل فى بلدان الشرق الأدنى الكبرى وعواصمه ، وخاصة دمشق وبيت المقدس وحلب والكرك وبغداد ومكة والمدينة والقاهرة ، وأقام فى عاصمة مصر سنوات طويلة فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب .

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٣٠٢ ، ٤٠٣ ، وانظر أيضا :

ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٥ ص ٣١٧ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٢ ، ٣ .

على إبراهيم حسن : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب ج٦ ص٣٢ ، ٣٣ ط دار المعارف سنة ١٩٧٧م .

وشهد أثناء مقامه في مصر حملة لويس التاسع الصليبية عليها ، واحتضار الدولة الأيوبية ، وقيام دولة المماليك ، وله مؤلفات فى الأدب والطب والتاريخ ضاع معظمها وبقى بعضها مبعثرا فى مكتبات العالم المختلفة .

ولعل أهم مؤلفاته جميعا (ما ضاع منها وما بقى) كتابه التاريخى الكبير (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب) الذى أرخ فيه للدولة الأيوبية منذ قيامها إلى نهايتها ، فى تفصيل وافى وتحقيق شامل دقيق ، وقد أخذ عنه كل المؤرخين اللاحقين فى القرون التالية (الثامن والتاسع والعاشر) عند تأريخهم للدولة الأيوبية،لأنه شهد وشارك فى كثير من الأحداث التى أرخ لها... (١) .

وبعد هذا العرض السابق لمؤرخى مصر والشام ، خلال القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، يلاحظ أن إنتاج مدرسة الشام التاريخية فى هذه الفترة كان غزيزا متشعبا ، مغطيا معظم اتجاهات الكتابات التاريخية ، ويتضح ذلك من خلال مقارنة إنتاج الشام بإنتاج أقاليم أخرى كمصر فى نفس الفترة .

ولعل سر ذلك ظروف بلاد الشام السياسية فى هذه الفترة ، وتعرضها أكثر من غيرها لعدوان صليبى خطير ، مما جعلها محط الأنظار ، وأنشا بها دولا

---

(١) ابن واصل :مفرج الكروب ص٤،٥مقدمة المحقق جمال الدين الشيال ط القاهرة سنة ١٩٥٣م ، وأنظر أيضا: د . عبداللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

و ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب : ج٥ ص٤٣٨ ، ٤٣٩ .

على إبراهيم حسن : استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الاسلامى ص١١١ ، ١١٢ .

وإمارات قوية لتجابه هذا الخطر ، وقد استجلب ذلك كثيرا من العلماء والمؤرخين شاركوا في بسيوفهم وألسنتهم وأقلامهم .... (١) .

كما يلاحظ أيضا ، اهتمام المؤرخين بالتاريخ السياسي ، والتركيز على دور الأفراد والشخصيات الكبرى ، كالخلفاء والملوك ، وإهمال الجوانب التاريخية الأخرى وفي هذا يقول الباحثين : " وتتصل النزعة إلى المبالغة في تأثير العظماء ومآثرهم بالنزعة إلى إهمال التطورات الاجتماعية والثقافية الخارجية ، التي تمثل مؤثرات ومآثر تفوق ما أحرزه عظماء معينون ... (٢) .

ومعنى ذلك أن الأحداث السياسية والعسكرية الرسمية ، قد استحوذت على جل اهتمام كتب التاريخ العام ، والتواريخ السياسية والعسكرية ، وإن التفت بعضها أحيانا إلى الجوانب الحضارية والعمرانية ، وبالتالي استحوذ أهم حدث سياسي عسكري في حياة الشرق الإسلامي إبان ذلك العهد ، وهو العدوان الصليبي ، على اهتمام بالغ ، من جانب هذه المؤلفات ، واحتلت الروايات عنه مساحات واسعة منها .

---

(١) جمال فوزي محمد عمار : الحركة التاريخية في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية من سنة ٥٢١ - ٦٦٠هـ ص ٣٠٩ ، ٣٢٤ رسالة ماجستير بكلية دار العلوم رقم ٥٩٧ سنة ١٩٩٤ م .

(٢) أتكن هيوج : دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ص ١٨١ ترجمة د . محمود زايد دار العلم للملايين - بيروت سنة ١٩٦٣ م ، وأرنست كاسبرد : في المعرفة التاريخية ص ٦٨ ترجمة أحمد حمدي محمود - دار النهضة العربية .

سـيـاسـى عـسكرى فى حـيـاة الشـرق الإسـلامى إبان ذلك الـعـهـد ، وهو الـعـدوان الصـليـبى ، علـى اهتـمـام بالغ ، من جـانب هـذه المؤلفـات ، واحـتلت الروايات عنه مساحات واسعة منها .

* * * * * * * * * * * * *

* * * * * * *

* * * * *

* *

الفصل الثالث
الخصائص العامة لحركة التأليف وتطور المنهج التاريخي عند مؤرخي القرن ٧هـ / ١٣م

الخصائص والسمات المشتركة لحركة التأليف التاريخى

فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى

عندما ننظر فيما تركه المؤرخون فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى من مؤلفات تاريخية مختلفة ، مثل الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر للمؤرخ ابن عبد الظاهر، والروضيتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبى شامة ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وعيون الأنباء فى طبقات الإطباء لابن أصيبعة ، ومفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب لابن واصل .

وبغية الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم ، ومؤلفات أخرى عديدة لعدد كبير من مؤرخى القرن السابع ، مثل ابن نظيف المتوفى بعد سنة ٦٣١هـ ، وابن أبى الدم الحموى المتوفى سنة ٦٤٢هـ ، وابن أبى طى المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، والمنذرى المتوفى سنة ٦٥٤هـ ، وابن الميسر المتوفى سنة ٦٧٧هـ ، وغيرهم من مؤرخى القرن السابع .

وغير ذلك من المؤلفات التاريخية الأخرى ، نلاحظ أن هذه المؤلفات تشترك فى بعض السمات العامة ، التى يشترك فيها كل المؤرخين ، ولكنها تكون متفاوتة أو بحسب المنهج ، الذى رسمه كل مؤرخ لنفسه فى الكتابة التاريخية .

وتتضح تلك السمات أو الخصائص ، من خلال دراسة حول حركة التأريخ فى القرن السابع الهجرى ، حيث يوجد هناك نوع من التشابه فى التأليف التاريخى، من حيث طريقة التأليف وصياغة الكتابة التاريخية ، وأهم هذه الخصائص :

١ – المختصرات للتورايخ العامة .

٢ – النقل عن الآخرين .

٣ – التذييل على الكتب السابقة .

٤ – التأريخ للأحداث المعاصرة.

ولمزيد من الإيضاح ، ندرس كل سمة من هذه السمات ، بشئ من التفصيل .

ا- المختصرات للتواريخ العامة :

والمقصود بذلك أن يجمع المؤرخ ما حصل عليه من أخبار ، ونقل من روايات ثم يلخصها أو يختصرها ، ويأخذ ما يخدم غرضه من التأليف أو يختصر مؤلفا سابقا أو أكثر ، سواء كان له هو أو لغيره ، فى مؤلف آخر ، يقصد به التيسير وسهولة الاطلاع عليه ، والانتفاع به من جميع الأوساط ، أى يعنى ذلك سهولة قراءة الكتاب والانتفاع به فى وقت أسرع كما يقول أحد الباحثين :

" وهو باب طرقه المؤرخون لمن يريد المعلومات السريعة المكثفة ، ذلك أن حاجة الأمراء والعلماء ، إلى معلومات سريعة يضيق وقتهم عن أوسع منها ، وتقل حاجتهم إلى أكثر منها ، ثم ظهور المختصرات فى العلوم الأخرى ، ثم داعى الهرب والتخلص من نسخ المجلدات الواسعة والصعوبة العملية فى نقل واقتناء المجلدات، التى هى فى الوقت نفسه غالية الثمن ، وقلما يهتم بها إلا المتخصصون الهواة كل ذلك أوجد المختصرات فى التواريخ العامة أو التاريخ الإسلامى ... (١) .

ونحن إذا ما نظرنا فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى لتتبع هذه الظاهرة، وجدنا المؤرخ أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ ، الذى عمد إلى كتاب أحد المؤرخين الكبار ، وهو ابن عساكر وكتابه هذا هو (تاريخ مدينة دمشق) فقام أبو شامة باختصار هذا الكتاب ، وهذبه وأضاف إليه أيضا ، ويعبر عن ذلك بقوله :

" ثم أردت أن أجمع من هذا العلم كتابا يكون حاويا لما حصلته ، وأتقن فيه

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص٤١٦ .

ما خبرته ، فعمدت إلى كتاب وضع فى هذا الفن على طريقه المحدثين ، وهو تاريخ مدينة دمشق الذى صنفه الحافظ الثقة أبو القاسم على بن الحسن العساكرى ، وهو ثمانمائة جزء ، فاختصرته ، وهذبته ، وزدته فوائد ، من كتب أخري جليلة وأتقنته ... (١) .

وهذا النوع من المختصرات ، انتشرت فى القرن السادس ، وما بعده ، ومن الأمثلة لهذه الظاهرة لمؤرخى القرن السابع الهجرى الذى نحن بصدد دراسته :

- المؤرخ ابن نظيف الحموى المتوفى سنة ٦٣١هـ له تاريخ عام واسع أوجزه فى كتاب صغير اسمه " التاريخ المنصورى " كما أن له موجز آخر باسم مختصر " سير الأوائل و الملوك " (وهو مخطوط) .

- والمؤرخ ابن أبى الدم المتوفى سنة ٦٤٢هـ له موجز لتاريخه الكبير المقفى أو (المظفرى) يدعى فى المخطوطات أيضا باسم (التاريخ المظفرى) لعل اسمه " الشماريخ فى التواريخ " هو فى التاريخ الإسلامى وعلى السنين ومنه مخطوط فى بلدية الإسكندرية رقم ١٢٩٢ ب ... (٢) .

- والمورخ المصرى المنذرى المتوفى سنة ٦٥٤هـ ، له مختصر تاريخ مصر للمورخ المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠هـ ، كما اختصر المؤرخ ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ كتابه " بغية الطلب فى تاريخ حلب " بعنوان :" زبدة الحلب فى تاريخ حلب" وكان البعض يقوم باختصار بعض مؤلفاتهم ، كما ذكرت سابقا بالأدلة

---

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النوريه والصلاحية ج١ ص٣ القاهرة مطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٧هـ

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص٤٢١ .

والأمثلة ، ومن الواضح أن ظاهرة الاختصار لم تقتصر على المؤلفات التاريخية فحسب ، بل شملت أيضا معظم الفنون الأخرى ، كالنحو والصرف واللغة والفقه والأدب ، وغيرها من العلوم الأخرى .

ويرى حاج خليفة صاحب كشف الظنون ، أن ذلك أخل بالمؤلفات ومدى الانتفاع بها ، حيث يقول :

" وأما كثرة الاختصارات فى العلوم فإنها مخلة بالتعليم ، وقد ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق فى العلوم ، ويدونون منها مختصرا فى كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار فى الألفاظ وحشو القليل منها بالمعنى الكثير ، فصار ذلك مخلا بالبلاغة وعسيرا على الفهم ، وربما عمدوا إلى الكتب المطولة فاختصروها تقريبا للحفظ كما فعل ابن الحاجب فى أصوله ، وابن مالك فى العربية ، وفيه إخلال بالتحصيل " ... (١) .

ولكن الملاحظ أن كثيرا من المختصرات (وبخاصة التاريخية منها) كان المقصود من عملها التيسير ، وسهولة الاطلاع وكثرة الانتفاع ، ويتضح ذلك من الأمثلة السابقة التى أوردتها ، وهى عبارة عن مختصرات جيدة لم تخل بالمعنى أو التحصيل ، وقد كانت هذه الظاهرة منتشرة فى مجال التاريخ .

٣- النقل عن الآخرين من الكتب السابقة :

عند الحديث عن ظاهرة النقل عن الآخرين من خلال مصادر العصور السابقة، فإنه يمكن القول إن هذه الظاهرة قد انتشرت انتشار كبيرا فى العصور

(١) حاج خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ج١ ص٥ ، وانظر أيضا : ابن خلدون : المقدمة ج٣ ص١٢٤٠ تحقيق د . على عبدالواحد وافى ط٣ دار نهضة مصر للطبع والنشر - بالفجالة .

الوسطى ، فمن المعروف أن الروايات والأخبار التاريخية ، بدأت عن طريق السماع، وبالمشافهة ، وتناقلها الرواة من واحد إلى آخر ومن جيل إلى جيل ، بالحفظ والتلقي من الآخرين ، شأن رواية الحديث تماما .

ثم شاع التدوين بعد ذلك ، وانتشر الحديث ، وغيره من الروايات ، ومن ثم سجلت تلك الروايات التاريخية فى وثائق ورسائل ، ثم جمعت فى كتب ومجلدات وبذلك بدأ المؤرخون فى النقل من الوثائق والكتب ، وأصبح النقل هو الوسيلة الطبيعية ، لمن يتعرض للتأريخ لأحداث ماضية بينه وبينها عصور و أزمان .

على أن الملاحظ فى هذا الصدد أن مؤرخى العهد المملوكى (ومؤرخى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى) قد اعتمدوا اعتمادا كبيرا فيما يتعلق بالعصور الإسلامية الأولى ، على الكتب المشهورة ، أمثال الطبرى وابن سعد والبلاذرى والمسعودى وغيرهم .... (١) .

وظاهرة النقل كانت منتشرة عند المسلمين وعند الأوربيين أيضا فى العصور الوسطى ، حيث كانوا ينقلون نقلا كثيرا عن مؤلفات من سبقوهم ، وفى بعض الأحيان كانوا ينقلون عن مؤلفات الذين عاصروهم ، بل إنهم كانوا ينقلون أحيانا كتبا بأكملها ، وفى معظم الأحيان ، كان الذى ينقل يذكر المصدر الذى ينقل عنه . و أحيانا كان البعض لا يفعل ذلك ... (٢) .

وقد انطبقت هذه الظاهرة على عدد من المؤرخين فى القرن السابع الهجرى

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٣ ص٣٠ .

(٢) د . زكى محمد حسن : دراسات فى الموازنة بين المؤرخين فى دار الإسلام والمؤرخين الأروبين فى العصور الوسطى ص ٢٣ ، ٢٤ ، - مقال بمجلة كلية الآداب والعلوم ببغداد ج٢ يونيه سنة ١٩٥٧ م .

حيث وجدناهم يعتمدون على المصادر السابقة ، وينقلون عنها وأمثال ذلك : ابن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢هـ ، وابن نظيف المتوفى بعد سنة ٦٣١هـ ، وسبط بن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤هـ ، وابن أبى الدم المتوفى سنة ٦٤٢هـ ، وأبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ وغيرهم من مؤرخي القرن السابع الهجرى .

كما كانت هناك أسباب أدت إلى انتشار هذه الظاهرة ، ومن ذلك قلة النسخ التى كانت تكتب من المؤلفات ، وعدم انتشارها انتشارا كافيا بسبب غلاء الورق وعدم اختراع الطباعة ، وكان المؤرخون لا يرون فى ذلك أدنى حرج ما داموا يذكرون المصدر الذى ينقلون عنه ، وربما كان سبب ذلك أيضا خلو الكتابة التاريخية فى العصور الوسطى من النقد والتحليل ، واستنباط الحقائق والربط بينها .... (١) .

والنقل عن الآخرين من المؤرخين السابقين ، سمة عامة للكتابة ، من تاريخ العصور السابقة قديما وحديثا ، ولا يستغنى مشتغل بكتابة التاريخ عن هذا النقل والاعتماد على كتب المؤرخين السابقين ، ولكن لهذا النقل شروطه المنهجية التى تجعل منه عملا له قيمته فى مجال الدراسة والكتابة التاريخية .

ويقول الدكتو شاكر مصطفى : " وحول النقل عن الاخرين نلاحظ أنه على الرغم من وفرة المصادر فى العصر المملوكى ، ورواج سوق التدوين التاريخى ، فقد تميزت بعض المؤلفات بالأصالة والتفرد بالمعلومات مما جعلها دون غيرها أشبه

---

(١) د سيدة اسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ص ٥١ .

بالمصادر الأمهات ، التى لا يستغنى عنها مؤلف بعدها " ...... (١) .

وربما يرجع تميز هذه المؤلفات ، بسبب ضياع الكتب الأصلية ، التى نقلت عنها ، أو بسبب تميز هذه المؤلفات بأنها عرضت بأسلوب أفضل وعرض أحسن ، ومثال ذلك المؤرخ ابن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢هـ فى سيرته للملك الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل ، حيث كان مصدرا لكل من أرخ لهؤلاء السلاطين من بعده من مثل : سبطه شافع العسقلانى ، وابن الفرات الناصرى الشافعى ، والمقريزى ، وغيرهم .

٣- التذييل على الكتب السابقة :

وعند الحديث عن ظاهرة التذييل على الكتب السابقة ، أو تكملة ماورد بها من أحداث ، فيمكننا أن نقول إن هذه الظاهرة لا تعنى بالضرورة طلب الشهرة والاحترام لصاحب التذييل ، فقد يكون له من الشهرة والاحترام ما يتفوق به على السابق وخصوصا إذا كان من أصحاب الخبرة والدراية بالفن الذى يكمله والعمل الذى يذيل عليه .

وقد يكون أكثر ثقافة و أوسع اطلاعا ، ولديه من المصادر ما يجعل عمله أكثر توثيقا و إتقانا ، ومن ثم قد يتفوق اللاحق على السابق ، وينال من الشهرة والاحترام ما لم يصل إليه السابق .

وتتمثل طريقة التذييل أساسا فى أن هناك بعض المؤرخين يذيلون على كتب

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٢ ص٣٤ ، وانظر أيضا :
محمد شفيق غربال : أساليب كتابة التاريخ عند العرب ص٢٥ – مقال بمجلة مجمع اللغة العربية ج ١٤ سنة ١٩٦٢ .

ليست من مؤلفاتهم هم أنفسهم ، ومثال ذلك فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، مافعله المؤرخ الكبير المنذرى المتوفى سنة ٦٥٤هـ الذى أكمل عمل المؤرخ ابن الأكفانى المتوفى سنة ٦١١هـ " وفيات النقلة " حيث أن المنذرى وضع عليه الذيل الطويل العام من سنة ٥٨١هـ إلى سنة ٦٤١هـ وسماه " التكملة لوفيات النقلة " ثم ذيل عليه أيضا عدد من المؤرخين الذين جاءوا من بعده ... (١) .

ومع ذلك كان بعض المورخين يذيلون على مؤلفاتهم هم أنفسهم ، ومثال ذلك فى القرن السابع الهجرى المؤرخ الكبير أبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ ، فقد ذيل على كتابه الكبير المعروف " بالروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية " بكتاب أسماه " الذيل على الروضتين " وفى هذا الكتاب وصل أبو شامة بالحوادث ما بين سنة ٥٩٠هـ إلى تاريخ وفاته سنة ٦٦٥هـ حيث قال : " فاسخرت الله وابتدأت من سنة تسعين التى تتلو سنة وفاة صلاح الدين فذكرت فيها وفيما بعدها، مافاتنى ذكره فى كتاب الروضتين ، سنة بعد سنة .... (٢) .

وقد استمرت ظاهرة التذييل على المؤلفات السابقة ، بعد ذلك فى القرنين الثامن والتاسع ، ومثال ذلك ما قام به المؤرخ أبو الفداء ، الذى ذيل بكتابه المسمى باسمه " تاريخ أبى الفداء " على كبار مؤرخى القرن السابع الهجرى وهو ابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ صاحب كتاب " مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب " حيث ذيل أبو الفداء بتاريخه المعروف باسمه .... (٣) .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٣ ص١٠٦ ، ١٠٧ ط١ سنة ١٩٩٠م .

(٢) ابوشامة : مقدمه المذيل ص٥ .

(٣) وهناك العديد من المؤرخين الذين ذيلوا على الكتب السابقة ، ولكن أوردنا هنا بعض الأمثلة فقط وانظر فى ذلك : محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى ص٨٩ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٤٩ م .

٤- التاريخ للأحداث المعاصرة :

من الواضح أن النقل عن الآخرين من الكتب السابقة ، كان المصدر الأساسى المعترف به لتأريخ الأحداث غير المعاصرة للمؤرخ ، ولكن التأريخ لأحداث العصر الذى يعيشه المؤرخ يتطلب جهدا كبيرا من المؤرخ فى تسجيل هذه الأحداث التى شاهدها أو سمع بها أو الاطلاع على الوثائق ، والتلقى المباشر وغير المباشر ، من المعاصرين ومعرفة أحوالهم .

كما يقتضى التنقل فى الأماكن ، والسير فى الشوارع ، والدروب ، والمشاركة فى مواقع الأحداث أحيانا ، ولذلك نجد أن مثل هذه التواريخ المعاصرة للمورخ تجئ فى صورة من الواقع نفسه وأكثر دقة وأوثق من التواريخ المنقولة فهى تسجيل لوقائع وآثار .

وقد كانت المعاصرة سمة ظاهرة لدى مؤرخى القرن السابع الهجرى ، ومثلهم فى هذا مثل المؤرخين السابقين ، الذين اشتغلوا بالتأريخ لعصرهم ، مستفيدين مما لديهم من الوثائق والرسائل ، ومما سمعوا أو شاهدوا ، مثل البلوى الذى كتب سيرة أحمد بن طولون ، والمؤرخ ابن زولاق الذى كتب سيرة الإخشيد ، وكذلك ابن شداد الذى سجل سيرة صلاح الدين الأيوبى ... (١) .

ومن المؤرخين فى القرن السابع المؤرخ الكبير ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ الذى أخذ عن شيوخ عصره ، وأودع كل ما أخذه عن علماء عصره وما رآه من أحداث أو شارك به فى كتابه " بغية الطلب فى تاريخ حلب " حتى غدا هذا الكتاب أشبه بمنجم للمعلومات لا ينضب معينه ... (٢) .

---

(١) د : سيدة اسماعيل كاشف : مصادر التاريخ الإسلامى ص ٥٤ .

(٢) ابن العديم : بغية الطلب فى تاريخ حلب ص١١ ، ١٢ تحقيق د . سهيل زكار ط دمشق سنة ١٩٨٨ م .

والمؤرخ الكبير ابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ الذى شهد أثناء مقامه فى مصر حملة لويس التاسع الصليبية عليها ، كان مؤرخا معاصرا للدولة الأيوبية وذكر أحداث ذلك فى كتابه "مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب" فى تفصيل واف لهذه الدولة ، وتحقيق شامل دقيق ، وقد أخذ عنه كل المؤرخين اللاحقين وبخاصة لأنه شهد وشارك فى كثير من الأحداث التى أرخ لها... (١) .

وكان على رأس هؤلاء ابن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢هـ ، وأبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ ، فقد كان كل منهما معاصرا للأحداث التى أرخ لها ، وكان ابن عبد الظاهر مشاركا فى كثير من الأحداث التى أرخ لها ، وقد شاهد هذه الأحداث بنفسه ، وذلك تأريخه لكبار سلاطين المماليك فى العصر المملوكى : (الظاهر بيبرس ، والمنصور قلاوون ، والأشراف خليل) وقد عبر عن ذلك هو بنفسه حين قال (وكان الملوك الأصغر مشاهدها سفرا وحضرا ومعاينة لا خبرا)...(٢) .

وعن أثر المعاصرة فى دقة الكتابة التاريخية ، يقول أحد الباحثين : " ولا شك أن معاصرة المؤرخ العربى لأحداث زمانه ، تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة ، فالمؤرخ الذى يعيش فى زمن قريب من الزمن الذى دارت فيه الأحداث التى يقوم بتأريخها ، أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين ، على تصويرها بألوانها الحقيقية " .

ذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث ، تعتمد كثيرا على

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ص ٤ ، ٥ مقدمة المحقق جمال الدين الشيال ط القاهرة سنة ١٩٥٣ م .

(٢) ابن عبدالظاهر : الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (بيبرس) ص٣٠ تحقيق د . عبدالعزيز الخويطر ط١ سنة ١٩٧٦ م .

المعاينة والمشاهدة والسماع ، من مصادر متنوعة ، والمعاينة والتحقق ، يجنبان المؤرخ من الوقوع فى الأخطاء ، التى وقع فيها من لم يحز حزوه واعتمد على النقول ... (١) .

وفى النهاية يمكننا أن نقول إن هذه الخصائص أو السمات السابقة وهى (النقل والتذييل والاختصار والتأريخ للأحداث المعاصرة) ، قد كملت بعضها البعض فى حركة التأليف التاريخى، ونتج عن ذلك عدد ضخم من المؤلفات التاريخية، ومنها المختصر ومنها المذيل ، ومنها المنقول اومنها المعاصر ، وغير ذلك.

(١) د . السيد عبدالعزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ص١٢٤ الإسكندرية سنة ١٩٦٧م، و انظر أيضا : شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج٣ ص٤٦ ، ٤٩ ط دار العلم للملايين - بيروت .

تطور المنهج التاريخى فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى

من المعروف أن مؤرخى مصر والشام عبر القرن الأولى ، اتبعوا منهج علماء الحديث فى جمع المادة وتدوينها الذى قام على أساس الاهتمام بصحة النقل فى الخبر ، عن طريق الاتصال السندى ، والدقة فى تخير سلسلة الرواة ، لإثبات صحة الخبر ، ثم تصنيفه فى صورة موضوعات ورسائل وأبواب تشبه أبواب الحديث .

أما إذا جئنا إلى مؤرخى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، وجدنا بعض التطورات فى تدوين المادة التاريخية ، وأهم هذه التطورات سقوط الإسناد تدوينا وقيمة توثيقية، تلك الزائدة التى كانت تتقدم الأخبار ، مسندة ما فيها إلى رواتها رواية بعد رواية فقدت وظيفتها وانقرضت وانقرض بانقراضها ، أهم صلة تصل التاريخ بعلم الحديث ، وأعلن التاريخ بهذا الشكل استقلاله بمنهجه الخاص .... (١) .

وكان وراء هذا التطور أسباب متعددة منها : أن المؤلف لم يعد يستند إلى الرواية الشفهية ، وإنما يأخذ عن كتاب مدون معروف مؤلفه ، ولذلك لم تعد هناك حاجة إلى الإسناد ، ومنها أن المؤرخ الذى يؤرخ لعصره ، أصبح يعتمد على الوثائق الديوانية ، والأخبار المتداولة على ألسنة الناس ، أو المنقولة إليه مباشرة وربما اعتمد على مشاهداته الشخصية .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص٣٧٨ وأنظر أيضا :

د . عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة فى العصور الوسطى ص ٣ ، ٢ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م .

ولذلك اعتمد المؤرخون (فى القرن السابع) على الكتب المدونة فى نقل الخبر ، فبدلا من قولهم عن فلان وفلان ، كانوا يذكرون أسماء الكتب التى استقوا منها هذه الأخبار ، وظهر بدل ذلك ما يعرف بأسانيد الكتب ... (١) .

وقد سلك المؤرخون العرب (ومؤرخى القرن السابع) فى كتاباتهم التاريخية منهجين :

* **الأول** : التأريخ الحولى ، أو التأريخ حسب السنين .

* **الثانى** : التاريخ حسب الموضوعات .

ا- التاريخ الحولى او حسب السنين :

حيث وجد من المؤرخين من أرخ للأحداث سنة بعد سنة ، فكانت مختلف الحوادث تجمع فى كل سنة وتربط فيما بينها بكلمة " وفيها " فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة ، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية ، ويستخدم الجملة التالية " ثم دخلت سنة كذا " أو " ثم فى سنة كذا" .... (٢) .

وهذا المنهج هو الذى بقى وانتشر ، منذ المؤرخ الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ، وقد ظهر ذلك ما بين أواخر القرن السادس وأواسط السابع ، ويسمى بمنهج الخبر

---

(١) انظر فى ذلك :
د . ابراهيم العدوى : مناهج التاريخ الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى ص٧٥ ، ٧٧ مقال بحوليات كلية دار العلوم العدد ٣ سنة ١٩٧٠ ، ١٩٧١ م .

(٢) د . السيد عبدالعزيز سالم : مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى والآثار الإسلامية ص ٨٢ ، ٨٣ ط مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية سنة ١٩٦٧ م ، و أنظر أيضا :
هرنشو : علم التاريخ ص٦٣ .

الحـولى ، ولكن بعـد حـذف الإسناد ، حـيث ظـهـرت فى تلك الفـتـرة مـجـمـوعـة من التواريخ العامة تطبع الفترة بطابع الاهتمام التاريخى الواسع .

على أن أهم ميزاتها أنها مع اتباعها مدرسة الطبرى الحولية ، قد ضيقت أحيانا مفهوم التاريخ العام وتجلى ذلك فى اقتصارها على تاريخ المسلمين العام دون التـعـرض للتـاريخ السـابق له ، كمـا أضـافت مـادة جديدة أخـذتهـا من كـتب التراجم وفتحت بابا فى نهاية الحوادث فى كل سنة ، وهو باب الوفيات ، ومـعنى ذلك أن مـفـهـوم التـاريخ العـام التـقى فـيـه عندهم فـرعـا التـاريخ الداخليـان وهمـا الأحداث والتراجم ... (١) .

وأورد هنا بعض الأمـثلة للتطبـيق على مـلامح هـذا المنهج من خـلال مـؤرخى القرن السابع الهجرى ، مع ملاحظة أنه لا نستطيع أن نحكم فى هذه الناحية على مـؤلفات التاريخ العـامـة التى ضـاعت إلا بالتـخـمين والحـدس والأرجح أنهـا تواريخ حوادث فقط ومنها :

– تاريخ ابن نظيف الكاتب الحـمـوى المتـوفى سنة ٦٣١هـ ، وقـد سـمـاه " الكشف والبيان فى حوادث الزمان " .

– تاريخ القفطى جمال الدين الوزير المتوفى سنة ٦٤٦هـ له بين مؤلفاته كتاب " التاريخ على السنين " الذى لخصة ابن مكتوم بعد قرن .

– ابن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ له كتابان عامان فى التاريخ هما " المختار من عيون التاريخ " وكتاب " معالم الأمم وأخبار ذوى الحكم " ولعل الأول فى الحوادث والثانى فى التراجم ، وهو أيضا صاحب الكتاب المشهور طبقات الأطباء .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص ٤١١ ، ٤١٢ .

أما التواريخ العامة التى بقيت لنا ، فثلاثة من أمهات كتب التاريخ ، والثلاثة جمعت ما بين الحوادث والتراجم (منها فى القرن السابع الهجرى " مرآة الزمان " لسبط بن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤هـ) ... (١) .

وقد تلا هذه التواريخ حتى نهاية القرن السابع ، تواريخ بالتنظيم الأبجدى ، وهو ابتكار ظهر فى نهاية الفترة (أى فى النصف الثانى من القرن السابع) ، ومع أنه نقل عن كتب التراجم إلا أنه يعبر عن فكر موسوعى ، نما حتى أدخل أحداث التاريخ فى إطاره ، فإن اثنين على الأقل من كبار المؤرخين ، نظموا حوادث التاريخ على الأساس الأبجدى ولسنا ندرى أيهما السابق فى هذا لأنهما متعاصران وهما :

(١) - ابن أبى طى الشيعى المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، الذى كتب حوادث الزمان على الأحرف الأبجدية فى خمس مجلدات ، ولكن لم يبق لنا من مؤلفاته الأربعة عشر شئ .

(٢) - ابن أبى الدم الحموى المتوفى سنة ٦٤٢هـ الذى كتب عدة كتب من بينها التاريخ المظفرى ، وهو أبجدى كما أنه إسلامى فقط ابتدأه بسيرة نبوية ثم بالخلفاء ثم بالفقهاء ثم بالمتكلمين ثم بالمحدثين ثم بالزهاد ثم بالنحاة واللغويين والمفسرين والوزراء والمقدمين ثم الشعراء ، ومن الواضح أن هذا الكتاب ليس كتاب تاريخ بالمعنى العام للتاريخ ولكنه كتاب تراجم للفقهاء والمتكلمين والمحدثين .... إلخ .

غير أن هذا المنهج الأبجدى لم يلق الصدى فى الناس ، فلم يتابعه أحد بل

---

(١) المصدر السابق : ج١ ص٤١٢ - ٤١٤ .

ضاعت أو كادت تضيع هذه النماذج الأول منه ... [1] .

وهذا المنهج الحولى الذى تحدثنا عنه سابقا عيب عليه أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة التى تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين ، فلا يذكر المؤرخ الذى يتبع المنهج الحولى منها إلا ما يخص حوادث السنة التى يجمع كل أحداثها ، فإذا كان لهذه الحادثة بقية فى سنة وثانية ثالثة ذكرها متفرقة ممزقة فى جملة أحداث كل سنة .

٢- التاريخ حسب الموضوعات :

وفى إطار هذا المنهج يلتزم المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام ، فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص من الخلفاء والحكام :

[أ] التاريخ للدول :

وجد فريق من المؤرخين العرب ، كان يؤثر الكتابة التاريخية على حسب الأسرات الحاكمة ، أو الدول أو العهود ومثال ذلك من القرن السابع الهجرى : (المؤرخ ابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ فى كتابه " مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب " حيث أرخ فيه للدولة الأيوبية ، وكذلك المؤرخ أبو شامة الذى كتب " الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ") .

كذلك وجدنا بعضهم يكتب فى تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين ، فالمؤرخ ابن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢هـ ، كتب سيرة كل من الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل ، كما كتب المؤرخ ابن أبى طى الشيعى المتوفى سنة

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص ١١٤ ، ٤١٥ .

٦٣٠هـ كنز الموحدين فى سيرة صلاح الدين ، وكتب أيضا سيرة ملوك حلب .

ويتميز هذا النظام فى الكتابة التاريخية ، بالاهتمام الخاص بالمسائل الأخلاقية والإدارية، الذى كان مظهرا من مظاهر أثر التاريخ القومي الفارسى فى مؤرخى العرب القدامى فقد كان التاريخ الفارسى يطبق طريقة تقسيم المادة التاريخية حسب عهود الحكام ، وكان ملوك الفرس يرون أن أخلاق الحاكم والإدارة السياسية فى عهده ، أهم عناصر التاريخ ، ولذلك يمكننا إرجاع منهج الكتابة التاريخية على حسب تأريخ الدول إلى أصول فارسية ... (١) .

[ب] التاريخ حسب الطبقات :

والتأريخ حسب الطبقات إسلامى أصيل ، لم تكن له علاقة فى الأصل بطريقة التأريخ حسب السنين ، لأن تقسيم الطبقات جاء نتيجة طبيعية لفكرة التأريخ لصحابة الرسول عليه السلام وللتابعين ، ولذلك ارتبط التأريخ حسب الطبقات بعلم الحديث ارتباطا وثيقا ، كما ارتبط بالعلوم الدينية .

ثم استخدمت الكتابة فى الطبقات فى ميادين غير دينية (ويمثل ذلك فى القرن السابع الهجرى : المؤرخ ابن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨هـ والذى كتب " عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ") .... (٢) .

وإلى جانب التواريخ العامة التى ذكرتها سابقا ، والتى تصل مجلداتها إلى الثلاثين والأربعين،

---

(١) د . السيد عبدالعزيز سالم : مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى ص ٩٢ .
وفرانز روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ص ١٢٦ .

(٢) د . السيد عبدالعزيز سالم : مناهج البحث ص ٩٥ .

لجأ المؤرخون إلى منهجين جديدين هما :

[١] المنهج الذى يلتزم كتابة التواريخ البلدانية والإقليمية ، لإشباع الرغبة الملحة للتوسع ولتدوين التفاصيل والدقائق دون الإرهاق للتواريخ العامة ، ودون التعرض للإملال أو لسوء التأليف أو عدم التوازن فى المعلومات بين قسم وقسم من المؤلفات ... (١) .

وقد كان هذا النوع من الكتابة أحيانا وليد الشعور بالقومية وتعبيرا صادقا عن ارتباط المؤرخ بإقلمه واعتزازه بوطنه ، وإن كان عدد كبير من كتب التاريخ الإسلامى المحلى صنعت من أجل اعتبارات دينية ... (٢) .

ففى مصر فى القرن السابع الهجرى ، وجدنا كتاب ابن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧هـ الذى ذيل به على المؤرخ المسبحى المتوفى سنة ٤٢٠هـ عن تاريخ مصر ، أما الإسكندرية فقد كتب مؤلف مجهول " وسالة فى فضائل الإسكندارية "

وفى الشام ، ظهرت أقدم أمثلة الكتابة فى التاريخ المحلى منذ القرن السادس الهجرى ، وكان منها (فى القرن السابع الهجرى) أعظم ما كتب عن حلب للمؤرخ الكبير ابن العديم الحلبى المتوفى سنة ٦٦٠هـ بكتابه " زبدة الحلب من تاريخ حلب " ... (٣) .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٤١٥ .
(٢) وفرانز روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ص٢٠٦ ، و د . السيد عبدالعزيز سالم : مناهج البحث ص١٠٤ .
(٣) د . السيد عبدالعزيز سالم : مناهج البحث ص ١١٠ .

[٢] أما المنهج الثانى فهو كتابة المختصرات للتواريخ العامة ، وذلك بهدف إعطاء معلومات سريعة مكثفة ، وهناك أمثلة فى هذا المجال ، ومنها فى القرن السابع الهجرى "مختصر تاريخ ابن عساكر " للمؤرخ أبى شامة المتوفى سنة ٦٦٥هـ ، كما أن المؤرخ ابن نظيف المتوفى بعد سنة ٦٣١هـ له تاريخ عام واسع ، أو جزء فى كتاب صغير اسمه " التاريخ المنصورى " والمؤرخ ابن أبى الدم المتوفى سنة ٦٤٢ هـ له موجز لتاريخه الكبير المقفى " أو " المظفرى " يدعى فى المخطوطات أيضا باسم " التاريخ المظفرى " ..... (١)

بقى أن أشير بعد ذلك ، إلى أسلوب الكتابة نفسه ، فكما تطورت الكتابة التاريخية من حيث الطريقة والمنهج تطورت أيضا من حيث الأسلوب (أسلوب العرض التاريخى) .

فقد أصبح الأسلوب التاريخى ، مرسلا بسيطا ، واضحا فى أن واحد ، يكاد يخلو فى معظمه من الشعر ، وكثيرا ما استخدم السجع فى الكتابة التاريخية ، على الرغم من أن التأريخ لم يكن قط فرعا من الآداب ، التى تشجع على استخدامه ، ومن المؤرخين الذين اشتهروا باستخدام السجع فى كتاباتهم التاريخية (فى القرن السابع الهجرى المؤرخ : أبو شامة والمؤرخ ابن عبد الظاهر ، وسبط بن الجوزى وابن واصل ، والقفطى وعمر بن شاهنشاه الأيوبى والمنذرى والمكين بن

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج١ ص ٤١٦ .

العميد .... وغيرهم) .... (١) .

وهكذا جرى التدوين التاريخى ضمن أسلوبين :

* **الأسلوب المرسل** : وهو الذى كتب به معظم المؤرخين منذ الطبرى إلى سبط بن الجوزى فى القرن السابع الهجرى .

* **الأسلوب الأدبى** : وهو الأسلوب المتـانق الذى يجـمع بين الأدب والتاريخ ويمثله فى القرن السابع الهجرى المؤرخان الكبيران : ابن عبدالظاهر وأبو شامة وغيرهما من مؤرخى هذا القرن .... (٢) .

كما نلاحظ فى ختام الحديث عن المنهج التاريخى لمؤرخى القرن السابع الهجرى ، كثرة استخدام هؤلاء المؤرخين للوثائق ، وهذا ما عبر عنه المؤرخ روزنتال حين قال : أما الوثائق والرسائل والأوراق الحكومية والبيانات الرسمية والخطب ، وأمثال ذلك من المواد ، فكانت المؤلفات التاريخية الإسلامية تستخدمها بكثرة ، وقد استخدمها المؤرخون ذو المراكز المؤثرة فى السياسة عندما يكتبون تاريخ زمنهم .... (٣) .

---

(١) د . السيد عبدالعزيز سالم : مناهج البحث فى التاريخ الاسلامى ص ٧٧ .

(٢) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٣٩٩ ، ٤٠٠ .

(٣) فرانز روزنتال : علم التاريخ عند المسلمين ص ١٦٧ .

وهكذا تزايد الاعتماد على الوثائق ، فدخلت فى صلب الكتب التاريخية ، التى ألفها أمثال أبى شامة صاحب الروضتين وعمر بن شاهنشاه الأيوبى صاحب مضمار الحقائق ، وابن عبدالظاهر صاحب الروض الزاهر ، ويبدو أن أصحاب هذه المؤلفات أرادوا أن يكونوا أقرب إلى الدقة والموضوعية، فكان عليهم أن توثق معلوماتهم بنصوص أصلية يأخذونها مباشرة عن منابع المعلومات ، وعن محفوظات الدواوين .... (١) .

ومن خلال هذا العرض السابق يمكن القول : إنه قد استطاعت تلك المناهج التاريخية أن تكفل للدراسات التاريخية ينابيع دافقة بالمعلومات ، لا يستطيع أن يستغنى عنها أحد ، كما ظلت النبراس الذى يسترشد به جميع المؤرخين من بعدهم .

---

(١) شاكر مصطفى : التاريخ العربى والمؤرخون ج ١ ص٣٨٠ ، ٣٨١ .

" الخاتمة "

بعد هذا العرض السابق للحركة التاريخية فى مصر وسوريا خلال القرن ٧هـ / ١٣م نلاحظ النتائج التالية :

(١) أنه من خلال الاستقراء الدقيق للحركة التاريخية فى هذا القرن يلاحظ ظهور مؤرخين كبار كانوا يمثلون المدرسة المصرية والسورية فى ذلك الوقت ، كما كانوا يمثلون أيضاً نهضة التأليف التاريخى والحركة التاريخية فى مصر وسوريا ، حيث وجدنا مؤرخين أمثال :

ابن الجوزى والعماد الأصبهانى والقفطى والسمعانى وابن أبى أصيبعة والمنذرى وابن عساكر وابن العديم وابن ظافر الأزدى وابن نظيف وابن أبى الدم ... إلخ .

فهذا العدد الوافر من المؤرخين الذين كانت لهم مؤلفات تاريخية وغير تاريخية، كانت مؤلفاتهم نوعاً من إثبات الوجود فى ذلك الوقت ونوعاً من اليقظة على تحدى الأخطار القادمة من الشرق ممثلة فى المغول ، ومن الغرب ممثلة فى الصليبيين .

(٢) ومن الملاحظ أيضاً عند دراسة هذه الفترة أن عدد المؤرخين فى سوريا وإنتاجهم التاريخى فى هذه الفترة ، كان كثيراً وشاملاً لمعظم اتجاهات الكتابة التاريخية ، من كتب التاريخ المحلى أو الإقليمى أو التأريخ العام ، ويتضح ذلك تماماً من خلال مقارنة إنتاج سوريا بأقاليم أخرى ، وذلك كمصر مثلاً فى نفس الفترة ، وربما يكون السبب فى ذلك الأحداث السياسية التى مرت بها بلاد الشام، حيث العدوان الصليبى والمغولى الذى اجتاح بلادهم وهدد أمنهم .

(٣) وكانت كتب التاريخ فى تلك الفترة [لمؤرخى مصر وسوريا على السواء] تركز على الأحداث السياسية والعسكرية ، حيث اهتمت كتب التاريخ العام ، وكذلك بعض التواريخ البلدانية أو المحلية بهذه الأحداث ، حيث يمكن القول إن الكتابة السياسية ، قد سيطرت تماماً على اهتمام كتب التاريخ العام والتواريخ

السياسية والحربية ، وإن عرض بعضها لجوانب أخرى كالجانب الحضارى والعمراني والاجتماعي .

وكان أهم حدث سياسى وحربى في ذلك الوقت ، الحروب الصليبية وحروب المغول ، فاستحوذ هذا الحدث على اهتمام واضح من جانب هذه المؤلفات ، وشغل الحديث عنه مساحات واسعة وكبيرة من هذه المؤلفات .

(٤) كان عدد كبير من مؤرخى هذه الفترة على صلة بالسلاطين ، وكانت وظائفهم حكومية أيضاً بمعنى أنهم كانوا مؤرخين شبه رسميين كابن شداد مثلاً وابن العديم وابن نظيف الحموى وابن شاهنشاه ، وقد ظهر أثر ذلك فى إنتاج بعضهم حيث الولاء والوفاء لأصحاب النفوذ ، ومن ثم انتقاد من يخالفهم ويعاديهم ، ولكن ذلك جاء بشكل متزن فى الغالب .

(٥) لم يكن هناك من تخصص فى التاريخ وحده ، فقد كان ذلك نادراً ، لأن كثيراً منهم كان يجمع بين مختلف العلوم كالفقه وعلوم اللغة والأدب وغير ذلك ، كما كانت الكتابة التاريخية نشاطاً مشتركاً بين رجال الدين كالقفطى وسبط ابن الجوزى وابن أبى الدم ، والأمراء مثل المؤرخ ابن شاهنشاه الأيوبى ، وبعض من كتبوا فى التاريخ ، كان أديباً وقاضياً مثل ابن العديم (ت سنة ٦٦٠هـ) .

(٦) وفى النصف الثانى من هذا القرن يلاحظ ظهور المؤلفات الضخمة والمؤرخين الكبار الذين خلفوا وراءهم مصادر موسوعية جامعة فى مجال التاريخ ، وكان سبب ذلك ظروف الصراع الحضارى ، بين الحضارة الإسلامية والقوى الغازية الطامعة فى السيطرة على هذه الحضارة العريقة .

(٧) كان أسلوب مؤرخى هذا القرن يتسم بالسجع واستخدام الشعر ، وإظهار البراعة الأدبية فى مؤلفاتهم ، وقد كان ذلك واضحاً تماماً ، كما كان سمة من سمات التأليف التاريخى فى هذا العصر ، وفى منهجهم استخدموا طريقة النظام الحولى ، والتأريخ حسب الموضوعات ، بالتأريخ للدول أو التأريخ حسب الطبقات.

المصادر والمراجع

.... المصادر والمراجع .... (١)

القرآن الكريم

* **ابن تغرى بردى** : (أبو المحاسن جمال الدين يوسف ت سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٥م)

- **" المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى "** ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة فى ثلاثة أجزاء تحت رقم ١١١٣

* **الدوادارى** : (أبو بكر بن عبد الله الدوادارى بن عز الدين بن أيبك ت سنة ٧١٣هـ / ١٣١٥م)

- **" درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان "** ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٦٥٤ (تاريخ)

* **ابن أبى الدم** (شهاب الدين أبو إسحق إبراهيم الحموى ت سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)

- **" التاريخ المظفرى "** ، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة رقم ٦٠٤ (تاريخ) .

* **ابن الأثير** . (على بن محمد الجزرى الملقب بعز الدين ت سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

-**" الكامل فى التاريخ "** ، دار الكتاب العربى - بيروت - دار الريان للتراث - الطبعة السادسة سنة ١٩٨٦م

---

(١) قمت بترتيب المصادر والمراجع وفقاً للترتيب الألفبائى للاسم الذى اشتهر به المؤلف ، بصرف النظر عن (ابن ، أب ، آل ، عبد)

* **ابن إياس** : (أبو البركات محمد بن أحمد ت سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)

- " **بدائع الزهور فى وقائع الدهور** " ، تحقيق : محمد مصطفى - الطبعة الثانية دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٨٢م .

* **ابن أيبك** : (أبو بكر عبد الله بن أيبك - عاش فى القرن الثامن الهجرى) .

- " **كنز الدرر وجامع الغرر** " ، تحقيق : ألرخ هارمان سنة ١٩٧١م بالقاهرة .

* **بيبرس المنصورى** : (ركن الدين بيبرس بن عبد الله ت سنة ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م)

- " **التحفة الملوكية** " ، نشر د. عبد الحميد صالح حمدان - الدار المصرية اللبنانية سنة ١٩٨٧م .

- **ابن تغرى بردى** (جمال الدين بن يوسف ت سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٥م) .

- " **النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة** " ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨م ، وسنة ١٩٢٩م . وسنة ١٩٤٩م ، وطبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية - وزارة الثقافة والإرشاد القومي - تراثنا ، وطبعة القاهرة سنة ١٩٢٩م - ١٩٤٣م .

* **ابن خلكان** : (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الشافعى ت سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) .

- " **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** " ، طبعة دار صادر - بيروت - لبنان ، وطبعة إحسان عباس ، وطبعة حسن عوان .

* **الداوودى** : (شمس الدين محمد بن على المالكى الداوودى ت سنة ٩٤٥هـ / ١٥٤٢م) .

- " **طبقات المفسرين** " ، تحقيق : على محمد عمر - الطبعة الأولى - مكتبة وهبة سنة ١٩٧٢م .

* **ابن دقماق** : (صارم الدين إبراهيم بن دقماق المصرى ت سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) .

- " **الجوهر الثمين فى سير الملوك والخلفاء والسلاطين** " ، تحقيق: د. سعيد عاشور ، ومراجعة د. أحمد السيد دراج - سلسلة من التراث الإسلامى نشر المملكة العربية السعودية .

* **الذهبى** : (الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبى ت سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) .

- " **دول الإسلام** " ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة سنة ١٩٧٤م ، وطبعة أخرى سنة ١٩٧٤م بتحقيق : فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، بدار الكتب المصرية .

* **السيوطى** : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت سنة ٩١١هـ / ١٥٠٥م) .

- " **تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة** " ، طبعة القاهرة سنة ١٢٥١هـ .

- " **حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة** " ، مطبعة إدارة الوطن سنة ١٢٩٩هـ ، والطبعة الأولى سنة ١٩٦٧م .

* **أبو شامة** : (عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقى ت سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٨م)

- " ذيل الروضتين " ، أو ما يعرف بتراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين - مطبعة وادى النيل ، طبعة جديدة سنة ١٢٨٧هـ ، والطبعة الثانية دار

الجـيل – بيـروت سنة ١٩٧٤م ، وط١ دار الجـيل وبيـروت سنة ١٩٧٤م ، وط١ دار الجيل بيروت سنة ١٩٤٧م .

– " **الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية** " ، مطبعة وادى النيل – طبعة جديدة بالقاهرة سنة ١٢٨٧هـ ، وطبعة دار الجيل – بيروت ، وطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٦م ، وطبعة سلسلة تراثنا بالقاهرة سنة ١٩٦٢م ، نشر د. محمد حلمى محمد أحمد .

* **العماد الأصبهانى** : (أبو عبد الله محمد بن صفى الدين ت سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) .

– " **الفتح القسى فى الفتح القدسى** " ، طبع على ذمة مصطفى الكتبى بجوار الأزهر ، بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق .

* **العينى** : (بدر الدين محمود بن أحمد بن العميد ت سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) .

– " **عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان** " ، طبعة دار الكتب المصريةبالقاهرة سنة ١٩٨٧م .

* **أبو الفداء** : (إسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماة ت سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) .

– " **المختصر فى أخبار البشر** " ، المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٥هـ ، وطبعة مكتبة المتنبى بالقاهرة .

* **القلقشندى** : (شهاب الدين أحمد بن على ت سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م)

– " **صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء** " ، طبعة القاهرة سنة ١٩١٣ – ١٩١٩م ، وطبعة دار الكتب الخديوية بالقاهرة ، مطبعة الأميرية سنة ١٩١٤م ،

وطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٢م ، وطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومى .
* المقريزى : (تقى الدين أحمد بن عبد القادر المقريزى ت سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) .
- " السلوك لمعرفة دول الملوك " ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٤م ، سنة ١٩٣٦م ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، وطبعة ثانية سنة ١٩٥٧م لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وطبعة سنة ١٩٧٠م ، ونسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بتحقيق محمد مصطفى زيادة .
- " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " ، طبعة دار مؤسسة الحلبى بالقاهرة ، وطبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ ، ومطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٥هـ .
* النويرى : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت سنة ٦٧٧هـ) .
- " نهاية الأرب فى فنون الأدب " ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، مركز تحقيق التراث ، طبعة سنة ١٩٩٠م ، وطبعة سنة ١٩٩٢م .
* ابن واصل : (جمال الدين أبو عبد الله محمد الشافعى ت سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) .
- " مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب " ، تحقيق جمال الدين الشيال - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٣م .
* ابن الوردى : (زين الدين عمر بن مظفر ت سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م).
- "تاريخ ابن الوردى " ، الطبعة الثانية سنة ١٩٦٩م ، وطبعة القاهرة سنة ١٢٥٨هـ .
- اليوينى (قطب الدين أبو الفتح موسى ت سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٧م) .
- " ذيل مرآة الزمان " ، (الطبعة الثانية - الهند سنة ١٣٧٤ - ١٣٨٠هـ) ، وطبعة حيدر آباد بالهند سنة ١٩٥٥م

* د. إبراهيم أحمد العدوى : " تاريخ العالم الإسلامى " ، الجزء الأول (عصر البناء والانطلاق) مكتبة الأنجلو المصرية .

" نهر التاريخ الإسلامى " - منابعه العليا وفروعه العظمى - الطبعة الأولى .

أحمد أحمد بدوى" الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام " - دار الكتب المصرية سنة ١٩٦٩م .

* أحمد أمين : " ظهر الإسلام " - مكتبة النهضة المصرية ط٣ سنة ١٩٦٤م .

* د. أحمد شلبى : " موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية " - الجزء الخامس / الطبعة السابعة سنة ١٩٨٦ ، مكتبة النهضة المصرية .

" موسوعة الحضارة الإسلامية " - التربية والتعليم - الطبعة الثامنة سنة ١٩٨٧م مكتبة النهضة المصرية .

* د. أحمد صادق الجمال : " الأدب العامى فى العصر المملوكى " - القاهرة طبعة سنة ١٩٦١م .

* أحمد مختار العبادى : " قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام " طبعة سنة ١٩٨٨م بالأسكندرية .

* د. أنور زقلمة : " المماليك فى مصر " - الطبعة الثانية .

- د. جمال الدين الشيال" تاريخ مصر الإسلامية " - طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م .

* جوانفيل : مذكرات جوانفيل (القديس : لويس وحملاته على

مصر والشام) ترجمة د. حسن حبشي - طبعة أولى سنة ١٩٦٨م بالقاهرة .
* **جورجي زيدان : " تاريخ آداب اللغة العربية "** ط القاهرة سنة ١٩٣١م - مطبعة الهلال .
* **د. جوزيف نسيم : " العدوان الصليبي على مصر "** - طبعة سنة ١٩٦٨م بالأسكندرية .
* **د. حسن إبراهيم حسن : " تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي "** الطبعة الثانية - مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٢م .
* **د. عبد الحليم منتصر : " تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه "** الطبعة الرابعة - دار المعارف مصر سنة ١٩٧١م .
* **عبد الرحمن الرافعي ، وسعيد عاشور : " مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني "** دار النهضة العربية سنة ١٩٩٢م .
- **عبد الرحمن زكي " موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام "** طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م .
* **رينسمان : " تاريخ الحروب الصليبية "** - ترجمة د. السيد الباز العريني - الطبعة الثانية - بيروت سنة ١٩٨١ م .
* **د. زكي محمد حسن : " فنون الإسلام "**طبعة القاهرة سنة ١٩٤٨م .
* **زيترشتين : " تاريخ سلاطين المماليك "** طبعة ليدن سنة ١٩١٩م .
* **د. سعيد عبد الفتاح عاشور :- " أوروبا العصور الوسطى "** طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م .
" الأيوبيون والمماليك في مصر والشام " طبعة دار النهضة العربية

بالقاهرة سنة ١٩٧٦م ، وطبعة سنة ١٩٩٠م .
" الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره " طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨م .
" العصر المماليكي فى مصر والشام " طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م .
– د. السيد عبد العزيز سالم :" طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى " – الأسكندرية سنة ١٩٦٧م.
* د. شاكر مصطفى : " التاريخ العربى والمؤرخون " الطبعة الثالثة – دار العلم للملايين ، وطبعة بيروت سنة ١٩٧٩م ، وطبعة أولى سنة ١٩٩٠م ، وطبعة ثالثة سنة ١٩٨٧م .
– على إبراهيم حسن : " مصر فى العصور الوسطى – من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى " طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م .
* د. على حسن حبيبة : " الحروب الصليبية " طبعة القاهرة سنة ١٩٨٩م .
* على مبارك : " الخطط التوفيقية " طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠م طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٦٩م .
* د. فؤاد عبد المعطى الصياد : " المغول فى التاريخ " طبعة بيروت سنة ١٩٨٠م ، دار النهضة العربية .
* د. فايد حماد عاشور : " العلاقات السياسية بين المماليك والمغول فى الدولة المملوكية الأولى " طبعة دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٦م .
* د. قاسم عبده قاسم : " الرؤية الحضارية للتاريخ " الطبعة

الثانية – دار المعارف سنة ١٩٨٥م .

* د. **عبد اللطيف حمزة : " الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول "** طبعة دار الفكر العربى سنة ١٩٦٨م .

* **عبد المتعال الصعيدى : " المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر "** مطبعة مكتبة الشباب بالجماميز بالقاهرة .

* **د. محمد جمال الدين سرور : " دولة بنى قلاوون فى مصر "** طبعة القاهرة سنة ١٩٤٧م .

* **د. محمد حلمى محمد أحمد : " مصر والشام والصليبيون "** طبعة مكتبة الشباب سنة ١٩٨٢م .

* **محمد زغلول سلام : " الأدب فى العصر الأيوبى "** طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م .

* **محمد عبد العزيز مرزوق : " الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى "** سلسلة كتب ثقافية .

* **محمد كرد على : " خطط الشام "** الطبعة الثانية – دار العلم للملايين – بيروت سنة ١٩٦٩م .

* **محمد عبد الله عنان : تاريخ الجامع الأزهر "** لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨م .

" مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى " ط١ سنة ١٩٦٩م ، وطبعة مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة ١٩٩١م .

* **محمد مصطفى ومجموعة من العلماء : " تاريخ الحضارة المصرية "** (العصر الإسلامى) طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، نشر مكتبة مصر بالفجالة

* محمود رزق سليم : " عصر سلاطين المماليك " طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩م .
* محمود شاكر : " التاريخ الإسلامى " طبعة الكتب الإسلامى سنة ١٩٨٥م .
* محمود شلبى : " حياة الملك الظاهر بيبرس ، الأسد الضارى، قاهر التتار ومدمر الصليبيين " طبعة دار الجيل - بيروت سنة ١٩٩٢م .
* د. محمود محمد الحريرى : " الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين ١٢ ، ١٣م " طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٩م .
* د. نعمان الطيب سليمان : " جهود المماليك فى تصفية الوجود المغولى بالشام " مطبعة الحسين الإسلامية بالقاهرة سنة ١٩٨٨م .
* د. وفاء محمد على : " دراسات فى تاريخ الدولة الأيوبية " طبعة دار الفكر العربى بالقاهرة .
* عبد الوهاب حمودة : " صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى " طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٥م .
* إبراهيم حسن سعيد : " الجيش فى عصر سلاطين المماليك (ماجستير) " بآداب القاهرة رقم ١١٨٤ .
* د. عبد الأعلى مهدى محمد : " عز الدين بن عبد السلام ومدرسته السياسية (ماجستير) " بكلية العلوم - بالقاهرة رقم ٣٤١ سنة ١٩٨١م .
* عبد الحفيظ محمد على : " الحياة السياسية والاجتماعية عند الصليبيين بالشرق الأدنى فى القرنين الثانى والثالث عشر من الميلاد (ماجستير)" بآداب القاهرة رقم ١٣١٦سنة ١٩٧٥م .

* عبد الرؤوف أحمد عطيفى : الأشرف خليل بن قلاوون (ماجستير)" بآداب القاهرة رقم ١٧٢ .

* د. سوسن محمد نصر : " الإخوة الملوك الثلاثة أولاد العادل الأيوبى ، الكامل ، المعظم ، الأشرف " (دكتوراه) كلية دار العلوم بالقاهرة ، رقم ١٢٠ سنة ١٩٧٧م .

* عبده عبد العزيزى قليقلة : " النقد الأدبى فى العصر المملوكى " (دكتوراه) بكلية دار العلوم رقم ٦٧٠ لسنة ١٩٧٠م .

* على محمد الفقير : " العز بن عبد السلام وأثره فى الفقه الإسلامى (دكتوراه)" بكلية الشريعة والقانون بالأزهر .

* عبد الغنى محمود عبد العاطى : " التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك (ماجستير)" بآداب القاهرة سنة ١٩٧٥م رقم ١٣٨٣ .

* د. محمد محمد عامر : " المماليك المصريون الذين لمعوا فى مجال الفكر (دكتوراه) " بكلية دار العلوم - بالقاهرة ، وبكلية الآداب .

* د. يسرى أحمد زيدان : " الفقهاء والعامة فى مصر والشام فى القرنين السادس والسابع الهجريين - دراسة تاريخية مقارنة (دكتوراه) " بكلية دار العلوم رقم ١٠٣٦ لسنة ١٩٩٦م .

* د. حسن ذكرى : " أبرز مظاهر الحياة الثقافية والأدبية فى العصر المملوكى " مقال بمجلة كلية اللغة العربية بالأزهر - العدد السابع سنة ١٩٨٩م .

* د. محمد مصطفى زيادة : " بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك " مقال بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة - العدد الرابع سنة ١٩٣٦م .

* على بهجت : " قاموس الأمكنة والبقاع " طبعة القاهرة سنة ١٣٢٤م .
- " معجم البلدان " طبعة دار صادر - بيروت - لبنان .

* BARKER (ERNEST) :
- THE CRUSADERS LONDON . 1925 .
* KERR (ANTONY) :
- THE CRUSADERS . FIRST . EDITION LONDON 1966 .
* LAN POOLE :
- A HISTORY OF EGYPT IN MIDDLE AGES - LONDON . 1925.
- THE HISTORY OF CAIRO . LONDON 1902 .
* STEVENSON (W - B) :
- THE CRUSADERS IN THE EAST . COMBRIDGE 1907 , 1967 .

القرآن الكريم

* **ابن أبى أصيبعة** : (موفق الدين أبو العباس بن القاسم الخزرجى ت سنة ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م) .

-" **عيون الأنباء فى طبقات الأطباء** " . ، تحقيق د. نزار رضا ، نشر دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان سنة ١٩٦٥م .

- **ابن تغرى** :(جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى سنة سنة ٨٧٤هـ / ١٤٦٥م) .

- " **النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة** " ، طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٨م ، سنة ١٩٢٩م ، سنة ١٩٤٩م ، وطبعة دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، تراثنا ، وطبعة القاهرة سنة ١٩٢٩م - ١٩٤٣م .

* **حاج خليفة** : (مصطفى بن عبد الله ت سنة ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) .

-" **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون** " ، طبعة القاهرة ، وكالة المعارف سنة ١٩٤١م ، طبعة دار الفكر العربى سنة ١٩٨٢م .

* **ابن عبد الحكم** :(عبد الرحمن بن عبد الله القرشى ت سنة ٢٥٧هـ / ٨٧١م) .

- " **فتوحات مصر** " ، طبة بغداد - مكتبة المثنى .

* **حمزة الأصفهانى** : (توفى فى القرن الرابع الهجرى) .

-" **تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء** " ، طبعة مكتبة الحياة - بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية .

* **ابن خلدون** : (عبد الرحمن بن أحمد ت سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) .

-" **مقدمة ابن خلدون** " ، تحقيق : د . على عبد الواحد وافى ، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر بالفجالة - الطبعة الثالثة - القاهرة .

* **ابن خلكان** : (شمس الدين أبو أحمد بن إبراهيم الشافعى ت سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) .

- " **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** " ، طبعة دار صادر - بيروت - لبنان ، وطبعة إحسان عباس ، وطبعة حسن عوان .

* **الذهبى** : (الإمام أبو عبد الله الذهبى ت سنة ٧٤٨ هـ ١٣٤٧ م) .

- " **سير أعلام النبلاء** " ، طبعة بيروت - سنة ١٩٩٠م .

* **سبط ابن الجوزى** :(شمس الدين يوسف بن قز أو غلى ت سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٧)

- " **مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان** " ، الطبعة الأولى - دار الشروق سنة ١٩٨٥م .

* **السخاوى** : (شمس الدين محمد بن عبد الرحن بن محمد ت سنة ٨٣١ هـ / ١٤٩٧م)

- " **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** " ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ، تحقيق : فرانز روزنتال - ونشر صالح أحمد العلى .

- " **الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع** " ، طبعة القاهرة سنة ١٨٩٦م .

* **السيوطى** : (جلال الدين بن أبى بكر ت سنة ٩١١ هـ /١٥٠٥ م) .

- " **حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة** " ، مطبعة إدارة الوطن سنة ١٢٩٩هـ ، والطبعة الأولى ١٩٦٧م .

* **ابن شـاهـشناه** : (محمد بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ت سنة ٦١٧هـ / ١٢٢١م)

– " **مضمار الحقائق وسر الخلائق** " ، تحقيق : د . حسن حبشى – عالم الكتب سنة ١٩٦٨م .

* **ابن العديم** : (كمال الدين أبو القاسم ت سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٨م)

– " **بغية الطلب فى تاريخ حلب** " ، تحقيق : د . سهيل زكار طبعة دمشق سنة ١٩٨٨م

– " **زبدة الحلب فى تاريخ حلب** " ، تحقيق : سامى الدهان – المعهد الفرنسى للدراسات العربية بدمشق (٣ أجزاء) سنة ١٩٥١، ١٩٥٤ ، ١٩٦٨م .

* **أبو الفداء** : (إسماعيل على عماد الدين صاحب حماة سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م

– " **المختصر فى أخبار البشر** " ، المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٢٥هـ ، وطبعة مكتبة المتنبى بالقاهرة .

* **ابن النديم** : (محمد بن إسحاق ت سنة ٣٧٧هـ)

– " **الفهرست** " ، دار المعرفة للطباعة ،النشر – لبنان سنة ١٩٧٨م .

* **ابن نظيف الحموى** : (محمد بن على عبد العزيز بركات الحموى سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م)

– " **التاريخ المنصورى** " ، تحقيق : أبو العيد دودو ، مطبعة الحجاز بدمشق سنة ١٩٨١م .

* **ابن واصل** : (جمال الدين عبد الله محمد الشافعى ت سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)

– " **مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب** " ، تحقيق : جمال الدين

الشيال - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٣م .

* **أدم متز : " الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى "،** ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة .

د . إبراهيم أحمد العدوى :

" **ابن عبد الحكم رائد المورخين العرب** " ، مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٦٣م

* **أتكن (هيوج) : " دارسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية "** ، ترجمة د . محمود زايد ، دار العلوم للملايين - بيروت سنة ١٩٦٣م .

* **د . أحمد رمضان أحمد : " تطور علم التاريخ الإسلامى حتى نهاية العصور الوسطى "** - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٨٩م .

* **أرنست كاسبرد : " فى المعرفة التاريخية "** ترجمة أحمد حمدى محمود - دار النهضة العربية .

* **أسد رستم : " مصطلح التاريخ "** - بيروت - لبنان - المطبعة الأمريكية .

* **د جمال الدين الشيال : " التاريخ الإسلامى وأثره فى الفكر التاريخى الأوربى فى العصور النهضة "** - طبعة دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان .

د .حسنين محمد ربيع : " محاضرات فى علم التاريخ " طبعة سنة ١٩٨٤م - دار النهضة العربية .

* د . حسين عاصي : " المؤرخ أبو شامة وكتابه الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية " - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - طبعة أولى سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، سلسلة أعلام مؤرخي العرب والإسلام .

* د . حسين نصار : " نشأة التدوين التاريخى عند العرب " ، مكتبة النهضة المصرية

* د . عبد الرحمن بدوى : " النقد التاريخى " - طبعة الكويت سنة ١٩٧٧م

* عبد الرحن زكى : " خطط الفسطاط فيما كتبه عبد الرحمن بن عبد الحكم " ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٥م .

* الزركلى (خير الدين) : " الأعلام " - الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٥٤- ١٩٥٩م (١٠ أجزاء) .

د . السيد عبد العزيز سالم : " مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية " نشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع بالإسكندرية سنة ١٩٦٧م .

* د. سيدة إسماعيل كاشف : " مصادر التاريخ الإسلامى ومناهج البحث فيه " ، نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٧٦م .

* د . شاكر مصطفى : " التاريخ العربى والمؤرخون " الطبعة الثالثة - دار العلم للملايين ، وطبعة بيروت سنة ١٩٧٩م ، وطبعة أولى سنة ١٩٩٠م ، وطبعة ثالثة سنة ١٩٨٧م .

* د. عبد العزيز الدورى : " بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب " طبعة بيروت - المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦م .

* د . عفاف سيد صبرة :" التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية " نشر دار الكتاب الجامعى طبعة أولى سنة ١٩٨٧م .

* د . على إبراهيم حسن : " استخدام المصادر وطرق البحث فى التاريخ الإسلامى العام ، وفى التاريخ المصرى الوسيط " الطبعة الثالثة بالقاهرة سنة ١٩٨٠م .

* فواد سيزكين : " تاريخ التراث العربى " ترجمة د . محمود فهمى حجازى ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٩٨٣م .

* د . فتحية النبراوى : " علم التاريخ " دارسة فى مناهج البحث - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م .

* د . قاسم عبده قاسم : " الرؤية الحضارية للتاريخ " الطبعة الثانية - دار المعارف سنة ١٩٨٥م .

* د . عبد اللطيف حمزة : " الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول " طبعة دار الفكر العربى سنة ١٩٦٨م .

* محمد عبد الله عنان : " تاريخ الجامع الأزهر " لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة - الطبعة الثانية سنة ١٩٥٨م .

" مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى " ط١سنة ١٩٦٩م ، وطبعة مؤسسة مختار للنشر والتوزيع بالقاهرة سنة ١٩٩١م .

* محمد مصطفى زيادة : " المؤرخون فى مصر فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى " طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٤٩م .

* **محمود رزق سليم : " عصر سلاطين المماليك "** طبعة القاهرة سنة ١٩٤٩م .

* **مر جليوث : " دراسات عن المؤرخين العرب "** ترجمة د . حسين نصار – دار الثقافة – بيروت – لبنان .

* **د . مصطفى الشكعة : " مناهج التأليف عند العرب "** طبعة بيروت سنة ١٩٨٢م .

* **د . عبد المنعم ماجد : " تاريخ الحضارة فى العصور الوسطى "** مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٣١م .

" مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى ، تعريف بمصادر التاريخ الإسلامى ومنهاجه الحديث " طبعة سنة ١٩٥٣م .

* **هاملتون جب : " دارسات فى حضارة الإسلام "** – ترجمة د . إحسان عباس وآخرين ، دار العلم للملايين – بيروت ط٣ سنة ١٩٧٩م .

* **هرنشو : " علم التاريخ "** ترجمة د . عبد الحميد العبادى ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧م ، وط١ سنة ١٩٨٨م .

* **جمال فوزى محمد عمار : " الحركة التاريخية فى بلاد الشام فى عصر الحورب الصليبية من سنة ٥٢١ هـ – ٦٦٠هـ (رسالة ماجستير) "** بكلية دار العلوم – رقم ٥٩٧سنة ١٩٩٤م .

* **عبد الرحمن حسين العزاوى : " المنهج عند المؤرخين العراقيين"** (رسالة ماجستير) بآداب القاهرة ٢٩٢ .

* **د . عيسى مرسى سليم حسين : " كتاب فتوح مصر وأخبارها "** لابن عبد الحكم ١٨٧– ٢٥٧هـ / ٨٠٣– ٨٧١م ، دراسة أدبية

(دكتوراه) بجامعة عين شمس – قسم اللغة العربية سنة ١٩٨٠م .

* **عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح : " الدراسات التاريخية فى مصر فى القرن الثالث الهجرى (ماجستير) "** بكلية دار بالقاهرة سنة ١٩٩١ .

* **د . إبراهيم العدوى : " مدرسة التاريخ الإسلامى فى مصر – نشأتها أهم مؤسسيها "** مقال بحوليات دار العلوم سنة ١٩٦٨ ، ١٩٦٩م .

"مناهج التاريخ الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى " مقال بحوليات كلية دار العلوم سنة ١٩٧٠ ، ١٩٧١م العدد الثالث .

* **د . زكى محمد حسن : " دراسات فى الموازنة بين المؤرخين فى ديار الإسلام والمؤرخين الأوربين فى العصور الوسطى "** مقال بمجلة كلية الادب والعلوم ببغداد ، عدد يونيه ١٩٧٥م .

* **د . سيدة إسماعيل كاشف : " المنهج التاريخى لابن عبد الحكم "** مقال ضمن دراسات عن ابن عبد الحكم ، تاليف مجموعة من الأساتذة ، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٧٥م.

* **مجموعة من المستشرقين : " دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين "** مترجمة للعربية مادة (تاريخ) التى حررها جب ، يصدرها بالعربية عن الأصلية الإنجليزية ، إبراهيم زكى وعبد الحميد يونس ، وراجعها من قبل وزارة المعارف ، الدكتور . محمد مهدى علام سنة ١٩٣٣م .

* **محمد شفيق غربال : " أساليب كتابة التاريخ عند العرب "** مقال بمجلة مجمع اللغة العربية – الجزء الرابع عشر سنة ١٩٦٢ .

* CLOUDE CAHEN
- LA SYRIE NORD AL EPOQUE
DESCROISADES LE SSOURCES ARABES .
PARIS 1940
* OMAN CH :
- ON THE WRITING OF HISTORY .
LONDON . 1939 .
* TOYNBEE:
- A STUDY OF HISTORY . OXFORD 1962 .

****

" فهرس الكتاب "

- التمهيد : ملامح الحياة السياسية والثقافية فى مصر وسوريا فى القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى

ثانياً / الحركة التاريخية فى مصر وسوريا .

رقم الايداع
٢٠٠٠/٩٤٢٠

I.S.B.N
977-5040-89-2

العربي للنشر والتوزيع

٦٠ شارع قصر العيني (١١٤٥١) القاهرة
تليفون ٧٩٢١٩٤ ٧٩٥٤٥٢٩
فاكس ٧٩٤٧٥٦٦ / ٢٠٢
٤٢ ميدان المساحة
شارع دجلة من شهاب المهندسين
تليفون وفاكس ٧٤٩٢١٤٥
E-Mail alarabi5@intouch.com